قصص

جرعتان والبقية تفاصيل

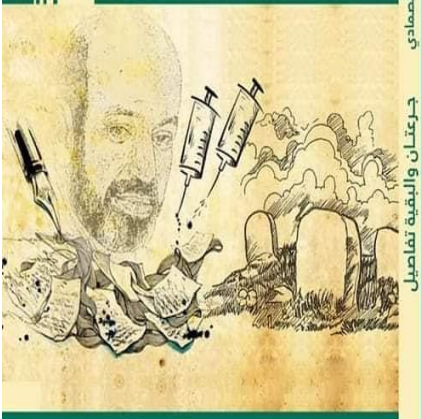

محمد علي فالح الصمادي

2022

محمد علي فالح الصمادي

جرعتان والبقية تفاصيل

2022

جرعتان والبقية تفاصيل

محمد علي فالح الصمادي

نَعَم وَكَيْف أَكُوْن سَلِيمًا فِي عَالَمٍ الْعَيْش فِيه مَرَض؟

لَدَي أَمْرَاض كَثِيْرَة يَصْعُب عَلَيَّ حَصْرُهَا فَأَنَا مَرِيْض بِالْخَوْف وَالْأَمَل، مَرِيْض بِالْمَحَبَّة، مَرِيْض بِالْقِرَاءَة وَالْكِتَابَة، مَرِيْض بِالْفَقْر، مَرِيْض بِالزِّلَّة الدُّوَيْلَة فِي زَمَن تَتَخَر فِيه الْبَيْدَان كُل الْعَلَّاقَات الإِنْسَانِيَة.

OAD

جرعتان والبقية تفاصيل

قصص قصيرة

محمد علي فالح الصمادي

2022

التصنيف

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022 \12\6133)

813,9

الصمادي، محمد علي فالح

جرعتان والبقية نفاصيل\ محمد علي فالح الصمادي. – عمان: المؤلف.

2022

( )ص.

ر.أ. :2022\12\6133

الواصفات: \القصصالعربية\\ الأدب العربي\\العصر الحديث\

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه، ولا يعبّر هذا عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

*تصميم الغلاف: **أحمد طناش شطناوي.**

*الطباعة مكتبة

الطلبة. إربد.

جرعتان والبقية تفاصيل

بين ما يرى وما لا يرى

(تقديم)

ليس كل ما تعلمه تراه، وليس كل ما تراه تعلمه بهذه الجملة وعلى بعد جرعةٍ أخرى، يطل القاص محمد الصمادي من جديد، إطلالة غير بعيدة عن المشهد الذي رسمه بعدسة عينه لمدة تزيد عن عشرين عاما، قضّاها غارقا في مشروع نبيل فريد من نوعه، أقصى نفسه عن مشهد الكتابة الذي لم يتركها، إنما غاب عن تقديم جرعات لقرائه.لعلك لن تعطيه حقه.

جرعتان والبقية تفاصيل، هذه المجموعة القصصية التي عنونها الصمادي بعنوان أغفل فيه كل التفاصيل ولم يقم لها وزنا، لكن المبحر بين نصوص هذه المجموعة القصصية حتما سيكتشف أنه قد أوغل بالتفاصيل ولكن بمشهد قصصي لا يتبع لمنظومة متتالية الأحداث، إذ أنه جعل التفاصيل هامشا ومتنا بنفس الوقت، فتراه

يضع تلك التفاصيل في غير المكان الذي يجب أن تذكر فيه، وهذا الأسلوب الما بعد حداثي الذي طرقه الصمادي في سرده، ورد بطريقة عبثية منتظمة.

من يعرف هذا الرجل بهدوئه وسكونه، ومن يراقب تصرفاته، حتما سيدرك أنه عبارة عن ذاكرة تمشي على رجلين، طريقة تخزينه ومراقبته للأحداث والتدقيق فيها والوقوف على تفاصيلها أمر لا يستطيعه الكثيرون، لا أقول أنه يبني رؤاه على الشك، إنما هو الحذر، تصرفاته كتصرفات الذئب، صياد ماهر يترقب فرصته لالتقاط ما يريد، ولعله حين يجد ضالته يبحث عن مشهد آخر ليختزل الأول فيه، وهذا على حد سواء بين القصة والصورة، فماهرة التقاط الصورة بالضرورة تنعكس عند هذا الذئب على مهارة تحويلها إلى نص قصصي، ناقدٍ أو ساخر أو مناقش لسلوك مجتمعي، أو لعل هذا الرجل أخذ على عاتقه إصلاح ما فسد في مجتمعاتنا من خلال تقديم وجبة طازجة وصلت حد الاستواء، إذ أنه لا يتعجل بتحويل الصورة إلى نص، إنما يضع ملاحظاته الدقيقة ومفاتيح دخوله على صفحته الافتراضية الزرقاء، ليأخذ منها ما وثق من مشاهد نصية وصورية، ليعيد طبخها في رأسه مرة أخرى غير آبه بمكوناتها ولا مقاديرها التي قد تشظي الصورة النصية، وأجزم

أنه يعمد ذلك مع سبق الإصرار وعن وعي تام، فالكتابة الواعية تشي بالضرورة عن وعي الكاتب، كيف لا وهذا الذئب الشيخ الذي عبر الستين بعد أكثر من عشرين عام عن فتح وانغلاق عدسة الكاميرا، الرفيقة التي لا تغيب عن كتفه ولا تفارق عينه.

ولعل الخبرة التي اكتسبها الصمادي من خلال التصوير ومراقبة الأحداث بعين المصور كانت مرآة خبرته القصصية التي بدأها في نهايات ثمانينات القرن الماضي، وانقطع عنها لانشغاله في مشروعه الذي أهدر فيه وقتا كبيرا، غياب القصة النصية عن حياة الصمادي الانتاجية أوصله لمرحلة كان لزاما عليه أن يرضخ لمعطياتها، وأن ينتج نصا قصصيا يحفظ له مكانا راسخا في عالم السرد.

وبما أنني على مقربة كبيرة من هذا الرجل، ومما لمسته أن أهمية التصوير الفوتوغرافي لا تقل أهمية عن التصوير النصي، فكلاهما حالة إبداعية، وما يخفى على البعض فإن الصمادي في توثيقه والكثير من الصور التي يلتقطها يسرد فيها قصة بصرية لا تصعب قراءتها، وبهذا فإنني أرى أن الصمادي لم يكن غائبا عن المشهد القصصي بل كان حاضرا وبقوة من خلال الصورة التي يوثق فيها مشاهد قصته في أي مكان يسعى إلى تصوير الأحداث التي تدور فيه.

وعودة على النص القصصي عند الصمادي، فإن نقل الحدث بعين المشاهد يختلف عن نقله بعين المصور الذي يتتبع حركات العيون والأيادي والشفاه، اللقطة الفوتوغرافية التي وصل لها الصمادي أوصلته لسرد مختلف، وفي (جرعتان والبقية تفاصيل) يبلغ الصمادي ذروة إبداعه القصصي في السرد، إذ أن تعزيز التجربة عنده بما ذكرته لعب دورا هاما وكبيرا في تغيير مسار السرد من سرد تقليدي يتبع منهجا عاديا، إلى سرد يعيش حالة تشظٍ منتظمة، فليس من السهل أن تكسر المرآة بطريقة منتظمة أو كما تريد، إلا أن الصمادي استطاع بخبرته القصصية الفوتوغرافية أن يكسر مرآته كما يريد ومتى يريد، ويعكس المشهد الذي يريد دون أي تكلف. وقبل هذا وذاك فإن الداخل إلى عالم الصمادي القصصي سيجد الكثير مما يراه ولا يعرفه، وحتما سيخرج بعلم وافٍ عنه، وأيضا الكثير مما يعرفه ولكن لا يراه، وحتما سيخرج باحثا عنه حتى يراه في واقعه، وهذا ما جعل من نص الصمادي نصا واعيا ناقدا للحالات السلوكية الاجتماعية، ورسالته لا يختلف فيها فهي رسالة سامية تحقق مرام الأدب وغاياته الحقيقة.

الشاعر: أحمد طناش شطناوي

جرعتان والبقية تفاصيل

عندما حل المرض اللعين في العالم؛ انتبذ لنفسه زاوية في مكان بعيد؛ فهو لا يثق بالأطباء، ولا بوسائل الإعلام، في اليوم الأوّل قال: كيف أثق بالأطباء؟

وبالأمس القريب، وفي مستشفى يبعد عن بيته أمتارًا قتلت شابة في مقتبل العمر، بعملية قيصرية، وتبين من التحقيقات التي تجريها

وزارة الصحة: أن السبب هو رأس الطفل الذي قطّع الطبيب أجزاءه بمهارة، حتى يحافظ على حياة الأم.

وسائل الإعلام أوردت تقارير تفيد: أنه لا بد من حصول أخطاء طبية تؤدي إلى الموت، لكننا ضمن النسبة العالمية في مجال الأخطاء الطبية، تذكّر أن القضاء يمنع النشر قبل استكمال التحقيقات.

عند الرابعة من مساء يوم ربيعي ضجّ من خوفه، وتذكّر صديقه الروائيّ؛ امتطى صهوة جواده الأبيض، دائمًا ما يذهب إليه بسيارة سوداء اللّون، لكنها مكتبة تحتوي الكثير من الكتب، ويُخفي فيها عن زوجته الرسائل الورقية، إلا أن ألوانها داخل الكتب تثيرها، وقد أقنعها أن البنوك في عمليات السحب والإيداع تُصدِر أوراقًا مختلفة ألوانها تسر الناظرين.

وتذكّر أنه كان يخفي تلك الأوراق في مكتبة في الجامعة التي عمل بها لتسعة وعشرين عامًا، وقال آخرون: تسعة وعشرون عاماً، تنقص ولا تزيد".

أوقف سيارته البيضاء الجميلة أمام صالون الإبداع والأدب والثقافة، طلب رواية يقرأها، وهو يقص شعر لحيته الكثّة، تذكر أنّ موس الحلاقة، ربما ينقل المرض، كان خائفًا من الحلاق أن يجزَّ رقبته كما تفعل الحكومات بشعوبها.

لا عليك كنت هادئًا، اجلس على كرسي الحلاقة بأدب جم ووقار رجل في الستِّين، وتذكر أنه قبل عام كان يحتفل مع أحفاده في عيد

ميلاده الستين، وغاب عن احتفال العائلة؛ فقد وعد جارته في الطابق الرابع أن يصلح لها عطل الكهرباء، قبل ساعة من الاحتفال عند الساعة السادسة، وقد اقترب موعد أذان المغرب،في الستين، الرجال مرهفو الأحاسيس، يقومون بأعمال جليلة، يساعدون الأرامل، والسيّدات اللواتي ينشغل أزواجهن في العمل إلى ساعات متأخرة من اللّيل.

وكزه الحلاق "فتحي": "هل أكملت كتابة روايتك.. مُصوّرٌ أعمى؟.

أفاق على رشّة العطر على مؤخرة رأسه المكتظ بالأحداث.

هل يموت المريض إذا نقص الأكسجين على حين غفلة من ممرضة تغازل طالب الطبّ في غرفته في الطابق الثالث عشر؟.

التحقيق لم يشر إلى هذه المعلومة حفاظًا على المكانة الرفيعة للطب والأطباء، وحتّى لفنيّي المعدّات الطبية، الذين ينسون المرابط على خزان الأوكسجين "رخوة"، حتى لا تنكسر مواسير الخزان أثناء عملهم ، والتي لا تطابق المواصفات والمقاييس حتى في البلدان الفقيرة.

مد يده إلى جيبه، أخرج ورقة الخمسين، وقال بثقة: هل أجد معك فكة لها؛ فهي آخر ورقة من الراتب.

أشفق عليه الحلاق كعادته، وقال: مرّة ثانية ستدفع، أعاد الخمسين إلى جيبه سريعًا، أغلب المثقّفين من الشّعراء والكتّاب والروائيّين لا يدفعون بسخاء في صالون صديقنا كما يحدث دائمًا،

بدعوى: أن لا ضرورة تحتمُ عليه دفع خمسة دنانير شهريًا على رأسه المُتصحّر.

متناسيًا أن شاربه ولحيته يحتاجان إلى مقص حاد كبير، لا يمكن أن تستمر هذه المهزلة، وكزته عدسة آلة التصوير: "استحِ على مستواك في القصة والرواية، ولا تصوبني نحو عقل تلك الفتاة؛ فهي لا تهتم سوى بنظرات الشاعر، وهي تتمنى أن تكون القصيدة، لا الشطر الأخير في بيت شعر كُسِر، ولُويَ عنقه لضرورة شعرية".

أكمل فنجان قهوته في صالون الحلاقة، وطلب منه فنجانًا آخر، بكأس من الكرتون يشربه أثناء عودته إلى البيت، تعب من التفكير، كيف يقنع زوجته بأن تذهب هي الأخرى إلى الكوافيرة؟ ليتسنى له أن يصلح عطل الكهرباء لصديقته في الطابق الخامس قبل عودة زوجها، تذكر أن جاره، قد تزوج من صديقتها سرًا، وهو مشغول بإنشاء مشروعه الجديد، وتذكر: كيف أقنعها بأن تأخذ قرضًا من صندوق المرأة على راتبها؛ لتجديد البيت وإصلاح ما أفسده الدهر من أثاث، ومرايا محطمة من كرة ابنهما الصغير.

لبس حذاءه الكبير، مسح غبار الطرقات بحركة سريعة في بنطلونه الأسود، صعد الدرج لأن المصعد ما زال معطلًا، وهو ما زال يقنع جيرانه بإصلاح المصعد، رغم أنه في الطابق الأول، ولا يحتاجه كثيرًا، إلا عند تعبئة خزانات المياه كل يوم أحد، وهو يوم عطلته الأسبوعية.

أخرج من رأسه كثيرًا من الأفكار عن جارته، التي تستدين كل شهر جزءًا من راتبه، ولا تعيد ما استدانته منه، لكنها على كل حال تحضر له خلطة، تقول: أنها نافعة، وأن ثمنها يزيد على المبلغ الشهري الذي تستدينه، حتى أنها لا تحتسب فناجين القهوة، رغم أنها مزحت معه، حين قالت: في الفنادق الراقية الفنجان يساوي عشرين دينارًا، عندها لمس مؤخرة رأسه، وقال: في المحمص، سعر كيلو القهوة في علبة فاخرة بستة دنانير فقط.

تذكر أن الأمور لا تُحسب بهذه الطريقة، وأيقن أن جارته لن تعيد المبالغ التي استدانتها، اعتقد أنها ستدفعها، لكنه لم يعرف ما هي الطريقة.

قالت له وهي تضع يدها على يده: الحكومات تقترض من صندوق النقد الدولي، والشعوب تسدد ديون الدول، كما ورد في تقرير "رولا حبيب" في فضائية العربية، وكذلك من لندن في تقرير "نادين فهمي"، التقارير الاقتصادية في قناة العربية، وقناة المملكة الأردنية أكثر وضوحًا من تقارير قناة الجزيرة التي تركز على الصراعات السياسية من منظور آخر.

صديقته في الطابق السادس أخبرته عن تقارير عالمية حول زراعة البندورة، وأبحاث تدعمها الحكومات، لتهجينها وإنتاجها بألوان الطيف.

في غمرة التفكير عن حل لما يعاني من إنسانيته المفرطة، وطيبته تذكر المدرسة الأمريكية وأقساطها المرتفعة، كان حلمه بأن يشغل أبناؤه مناصب عليا في الدولة.

خرج مسرعًا من بيت صديقته في الطابق الثاني، عاد إلى البيت، ووجد زوجته تبكي، فقد أضاعت شهادة المطعوم، والبنك يحتاج إلى سند أخضر لسحب أي مبلغ مالي.

-لا عليك غدًا نتدبر الأمر.

-أنا لا أبكي على ذلك، فقد عدت من ساعات ولم أجدكَ في البيت.

-آه.. كنت على السطح، أتفقد خزانات المياه؛ فأنا لا أثق بعوامات خزانات المياه، فكثير منها مغشوشة وغير صالحة، زوجتي الغالية أم أولادي، هل أعددت لنا طعامًا شهيًا، قبل أن نذهب إلى احتفال عيد ميلادي الستين.

-لا.. بل عيد ميلادك الحادي والستين.

تذكر أن الجرعة الثانية من مطعوم "فايزر"، رغم التشويش حول جدوى المطاعيم جميعًا.

نـزوة عطر

الفتاة التي تحاصرني وترغب بصداقتي، تضع صورة جميلة على صفحتها، وصفحتي مكتظة بالأصدقاء... جلست أفكر بحذف عدد من أسماء أصدقائي المقربين ، شرعت باستعراض الأسماء ، أحمد، تيسير، فتحي، عصام، صالح، الأصدقاء الذين لا يتفاعلون على ما أكتب ولا يقرأون ما أنشر، ولا يتعدي دخولهم على صفحتي وضع لايكات أو رسومات يصعب علي تحليلها أو لا أجد وقتا لذلك، فأحيانا أكتب عن موت صديق لي، فأجدهم جميعا يضعون أعجبني، أو مرض آخر، ترى هل يفرح بمرض أصدقائي وموتهم، فوجدتني أكتب (أحاديث ملفقة) لأطلع على مدى اطلاعهم وقراءاتهم لما أكتب.. كتبت عن قطة كانت تنام في البيت وتلعق فروها بلسانها وتربت بيدها على رأسها، انهالت الإعجابات والتعليقات، حتى ظننت أن كل أصدقائي المعلقين والمعجبين

أعضاء بجمعية الرفق بالحيوان، جرس الباب في شقتنا مزعج هذا الصباح، نظرت بالعين السحرية وفتحت عيني على اتساعها، امرأة فاتنة الجمال بملابس شفافة، حتى ظننت أننا في باريس، لكني قرأت لافتة على مدخل الشقة المقابلة (مطهر أولاد)، كتب عليها اسمه ورقم هاتفه.

ربما تذكر بقايا ملامح بطلة الليلة الماضية على شاشة ال (إم بي سي) التي نسيت شالها في غرفة النوم التي يحتفظ فيها بكثير من الذكريات لنساء عبر أربعين سنة مضت من عمره، فهنا شال وهناك جوارب مثقوبة، وفي موقع آخر سلسال من الفضة، وزجاجة عطر فارغة، إلا من ذكريات ليلة صاخبة.

أعاد النظر من ثقب الباب إلى المرأة التي تقف على بعد خفقة من قلب الباب، فوجدها جنية جميلة تخرج من البحر، أطرق قليلا ليتذكر هل أعطى موعدا لفتاة في هذا الوقت المبكر، ولم يمض على خروج صديقته من البيت إلا القليل.

أعاد النظر مرة أخرى من العين السحرية، فما زالت تقرع الباب بأظافر ملونة وبهدوء تام، ورباطة جأش غريبة، عادت خطوة للخلف، فتحت حقيبة يدها، أخرجت سيجارة من باكيت ذهبي، بحثت عن ولاعة تشعلها، صوت رجل: لطفا هل لديك عود ثقاب أشعل به سيجارتي.. حرام امرأة جميلة تدخن؟. لأنها جميلة أشعل من قلبه نارا وهو لا يدخن.

جرس الباب يقرع من جديد، تذكرت أني قد نزعت ملابسي، كيف سأفتح الباب؟

عدت إلى الداخل أرتدي ملابسي، حدثت نفسي: أي الصدف التي تأتي بهذه الجميلة، في هذا الوقت المبكر.

أكملت سريعا ارتداء ملابسي، وأخذت رشة عطر، قال لي البائع: إنه مثير جدا، لا تفلت فتاة منه.

رتبت ربطة العنق، نظرت بالمرآة، جرس الباب هذه المرة صاخب مزعج، ربما تأخرت كثيرا حتى انزعجت، والجرس يتكرر بعنف، دقيقة واحدة، قلت بصوت منخفض.

وعدت إلى زجاجة العطر، وسكبت ما تبقى، فكيف لرجل في الستين أن تفوح منه الروائح المثيرة، يتكرر الجرس إزعاجا بعد إزعاج.

نظرت من العدسة السحرية للمرة العاشرة، لأجدني على شباك البيت، فليس لباب بيتنا عين سحرية، أفقت على صوت جارنا الغاضب على أطفال الحارة.

المدير

" أعتقد أننا إذا استطعنا أن نصمت قليلاً فإن شيئًا ما يُمكن فهمه"

خرج إلى الشارع، رائحة الخبز تُعانق خيوط الضوء التي تسبق أشعة الشمس... ألقى تحية الفجر على صاحب المخبز المُحاذى لبيته، لم يُجبه ولم يلتفت إليه... تمتم، ربما حرارة الفُرن أصمّت أُذُنيه عن سماع التحية... تابع المسير ... بعض الحراثين وأبقارهم تتبعُهُم، وبغالُهُم أو حميرهُم تمشي أمامهم وقد هدها التعب...

بعض الدكاكين ما زالت مُغلقة، مطعم أبو سعد بدأ بإعداد السندويشات... طوابير الأطفال المُحملين بكتب تكسر الظُّهر والعقل، صبايا المدارس، بعض الفاسقين... موظفون يركبون الباصات المُتجهة إلى عمان وإربد... صوت أبي حمزة يعلو: " إربد ... إربد لحق، لحق" فتح محله... استغرب؛ لا تُوجد صُحُف في صندوق

الصُّحف... ربما تعطلت المطابع التي تُنتج الأخبار... ربما فقد المُوزّع ذّاكرته ولم يضع هذا اليوم الصُّحف في الصُّندوق المُخصص لها... استبعد كل ذلك... خطر في بالّه الإضراب الذي دعا إليه مجلس النقابة انتصارا لقضية أصدقائهم الصحفيين الذين استُغني عن خدماتهم، لكي يدافعوا بوقتهم عن حقوق زملائهم ... أثناء ذلك، سيارة تقف بنزق شديد أمام دكّان الحاج حمدان – غالبًا ما يكون أصحاب الدكاكين من كبار السن – صوت وضجيج " هاك حكي اشبع خرط..."، لا بأس بأن أُناقشه في ذلك؛ فلديه من الأسباب ما يجعلك تعذره على أي تصرف، ربّما كانت جيوبه فارغة من أوراق أولاده؛ فالعام الدراسي على الأبواب ... سيل من المشترين ... الجميع ينظرون إليه باستهجان، نظر إلى ملابسه النظيفة، بدأ يتلمس لحيته.. تذكر أنه قد أزالها أكثر من مرة حتى ضاقت زوجته.. وصرخت فيه: " وين العزم؟" ورغم ذلك ما زالوا ينظرون إليه، فكر هل ارتكب فعلاً مُنافيًا للذوق العام، أو خارجًا على ثوابت العشيرة!

استمر بعمله وهو يُتابع الوجوه المستطلعة، بحث عما يُلغي أو يؤكد ما يُشاهد في نظرات الناس، اختلطت في رأسه الأفكار، وذُبلت وردة الكلمات وهو يحاول أن يخرُج من مأزق هذا اليوم اللعين، أمسك الصحيفة، ذهب إلى صفحة الأبراج.. لا تيأس، لا تشك في كل من حولك... ستعيش أُمسية ساحرة، رقم الحظ 9، يوم السعد الخميس..عاد إلى صمته، تذكر أنه لم يكن مسؤولاً عن ارتفاع المديونية في دول شرق آسيا، ولم يكن سببًا في تعثُّر المفاوضات حول الدورة الرياضية العربية، ولا حتى سببًا بخسارة زعيم حزب الليكود، كل ما تذكّره أنه شارك في حفل زواج صديقه أيمن وأصرّ على سائق السيارة أن يُطلق العنان لزامور سيّارته حرصًا على تقاليد متوارثة، وتذكر أنه في يوم زواجه فتح رسالة وصلت إلى صديقه إياد كُتبت له وتقول: " كنت أعلم أن الجميع سيتغيُرون، ومع ذلك ظللت تطرق الأبواب.. وهاهو أول باب يفتح لك.. هل تعلمت من صديقك كيف تتكئ على جراح الآخرين لتعيش سعادة الفرح؟

فقط سأبقى أغتسل بحزني وأحمل تابوتي أضعه على بوابة تعبك.. مؤمنًا أن هذا ما يمكنني الاستمرار فيه.." حاول أن يتذكر فعلاً آخر، لم يجد في ذاكرته غير حديث عابر لمديره عن ضجره من الاستمرار بالحياة مع زوجة واحدة.. وفي العراق دجلة والفرات، وفي الشام الشهباء وبردى، تذكر أنه قرأ له شعرا من رسالة بعثها إلى الشاعرة سناء ذات نزوة ... " لكن هل يمكن أن تكون أخطاء أصدقائه ونزواتهم سببًا لما يلاقيهز

تذكّر حمدان أن أيمن ما زال يجد ما يُشغل به وقته، ويجعله الوحيد الذي يمارس الفراغ.. ما زال كثيرون ينتظرون وسيلة نقل إلى أي مكان، فلم يعد مهمًّا أين يكون عملك، وكيف يكون ومتى يبدأ؛ المهم أن تصل إلى مكان عملك عند الثامنة، هي الساعة وحدها التي تقوم بهذا العمل وبهذه الدقة.

وصل حمدان إلى المديرية التي يعمل بها.. إعلان لوحة الإعلانات التي وعد المدير أن ينجزها قريبًا منذ عام أربعة وتسعين، الموظفون

يملؤون فراغهم بشرب القهوة وإعادة قصة حاتم وبشار، اقترب موعد الاجتماع .. تحدّث المدير، " أيُّها الزُّملاء: إننا لا نستطيع أن نستخرج من خط مُنحنٍ خطًّا مُستقيمًا، ونحن لا نستطيع كذلك أن نعيش حياة صحيحة في مجتمع ليس صحيحًا.." أدرك حمدان أن أبا محمد قد بدأ يفكر بالسفر وهو لن يسافر هذه المرة إلى العراق.

ترى لماذا في نيسان وإلى أين؟ الشام بالتحديد.. العارفون ببواطن الأمور وخفاياها قالوا إنها رحلة مرتبطة بالقصيدة العربية وما اعتراها من القوم، وآخرون منهم قالوا إنها تتعلق بالأجواء العامة التي تعيشها المنطقة وربما إحياء للتضامن العربي، انهمرت دموع حمدان من الضحك وفرطت شفاهه، فهو مدرك أن التائه لن ينفعه جواد يركبه، وأن الأشواق بدأت ترهقّ سادن الليل.. تذكّر حمدان رغم ثقوب ذاكرته المرتبطة بذاكرة المرأة التي التقاها مديرةً ذات مهرجان فسلبت الألباب والشوق والحنين والوعد والابتسامة حتى غلبت صاحبنا وجاء وقت السفر.. الغريب في الأمر أن المدير

كان يشكو أمام موظفيه ضيق ذات اليد وكثرة الدُّيون، حتى أنه أسرّ إلى أحدهم بأن جيوبه قد التصقت لغياب النُّقود عنها منذ بدأ بعمله مديرا.

ضحت عشرين عامًا، وكانت دائمًا ما تسهر ليلها وتقوم نهارها على خدمته وتفقُّد أحواله، صبرت على الضراء وحرمت نفسها حتى التفكير بقطعة من الذهب، وكافحت ليكون بيتها القبلة التي يحج إليها زوجها حتى غزا الشيب المفرق وتصحر والوجه، وأغارت على الجسد الأمراض، اللعنة غالبية الرجال هكذا، هذا ما قالته أُم علاء الموظفة التي كافحت لتعيش فعاش زوجها في غياهب السجن وتركها تصارع الحياة، اللعنة! كثير من الرجال الناجحين يتزوجون بامرأة ثانية تُلغي قصة كفاح طويل مر!

ما زال حمدان مستغرقًا بالضحك حينًا وبالاستهجان أحيانًا أخرى، لكنه أدرك أن سعادة المدير تجرّه إلى متعة أو شهوة لا يقوى على

كبتها، أو خطيئة سيتوب عنها إذا قدّر له، لا بأس أن ينتقم من السنوات العجاف مع زوجته الموظفة المريضة المسنة.

كل ذلك لن يعفيه من الأسئلة التي سيطرحها عليه رجال الأمن حال عودته، فربما كانت ابتسام التي سيلتقيها من بقايا حزبه القديم، وربما ما زالت رغم جمالها تمثل تيارًا ما، قيل إن الزوجة الصابرة قد فرحت بسفر زوجها واختلطت في عيونها دموع الفرح والحزن لفراق أبي العيال، فقد صوّر لها أنه بدأ سلم المسؤولية، وأنه ربما يعيّن قريبًا ملحقًا في دولة ما، وستكون معه دائمًا، حدثها أنه لا يرغب في السفر لكنها إرادة معالي الوزير، ويجب أن يكون عند حسن ظنه، ومحل احترامه، وهي فرصة لكي يبتعد عنها لتتجدّد في قلبه جذوة الشوق، كانت تراقب الساعة، هكذا حدثتني مي ابنتهما : " كانت أُمي تدخل المطبخ تُعد القهوة والشاي معا، وتُعد العشاء الأخير فهو يحب المنسف كثيرًا".

شرب القهوة أكثر من ذي قبل، وضع داخل مُغلفٍ بعض قصائده وكتبه وقليلاً من الأوراق متعددة الألوان، حدثتني مي أنها اكتشفت حقيقة جديدة وذات مغزى، وهي أن الصغار لا يُصابون بالجنون، الكبار وحدهم هم المؤهلون لأن يتحولوا إلى مجانين.

ما زال صوت صاحبنا يرتفع مدافعًا عن أفعالٍ مارسها، فاليمين واليسار ما زالا قادرين على النُّهوض بالأمة وإخراجها من محنتها رغم هزيمة اليسار في الشرق والتهام اليمين ما تبقى من معانٍ سامية، حدثني سعادته عن الحجاج الذي يُمثل عزة لأمته، وفجأة سقطت ورقة من بين يديه أو من خلفه، كتب عليها: " أنت الوحيدة القادرة على إلغاء كل تلك الأفكار"، تابع حديثه عن مرحلة شبابه، وعن القصيدة التي أدخلته غياهب السجن.. قال وهو يواري فرحته بالسفر:

" أخلعي ظلك عن حُزني فإني

سادن الليل على نار التمني

واملئي بحري حنينا عاشقا

باح من ورد وعطر وتثنّي

ضفري ليلتك حلما وانشري

تذكّر حمدان كيف اغرورقت عيناه بالدُّموع وهو يقرؤها عليه، هذا حال الرجال، ربما نبقى ثوريين، قوميين وصادقين قابضين على جمر المسؤولية حتى نبلغها ثم ننحرف نحو كل الجهات، غادر حين دعاه الواجب وهو يردّد: " شيئان في الدنيا يستحقان المنازعات الكبيرة : وطنٌ حنون، وامرأة رائعة، أما بقية المنازعات الأخرى فهي من اختصاص الديكة".

نقلت الصحف عن مصدر مطلع رفيع المحتوى أن صراعًا قد نشب على كرسي المديرية، وأن الفوضى دبت في أوصالها، وأن جماعات جديدة ظهرت، وأن المديرية انحازت للتطبيع مع المديريات المجاورة، وقيل إن صاحب القهوة المحاذية للمديريّة ازداد ربحه وفاحت رائحة أوراق اللعب من قهوته، وقيل إن بشار كتب على باب مكتبه:

" يُسمح بالدُّخول لمن ليس له عمل رسمي باستثناء حاتم"، وذكرت أُم علاء أن آله تصوير الوثائق لم تتوقف قط، فقد استغلّ حسين، موظف الديوان، هذا الوضع، وسمع الجيران أم علاء تردد: " رجعتُ إلى بيتي لكني لم أجد البيت مكانه، وتعجبت: تراني أخطأت الحارة والشارع؟ كيف يضيّع إنسان مثلي بيته أو يخطئ جيرانه؟".

أدرك حمدان أن جُرح أم علاء يفوق جُرح زوجته المديرة، سيارة إسعاف تُغلق بصوتها الفضاء، قيل إن حرائق شبت في حديقة الورد، وإن الخسائر لم تُعرف بعد، فهل تعي النساء ما يحدث في الداخل والخارج؟ وهل ترحل النساء إلى جنات عرضُها السموات والأرض لا يسكُنها الرجل الذئب والمرأة الحمل؟ صوت المُؤذن: الصلاة خير من النوم. الصلاة خير من النوم..

فـرح

يبـدأ العمـل بضجر كبير، في أحيـانٍ كثيرة لـم يكـن يـدرك ذلـك، الجميـع يبـدؤون يـومهم بابتسـامة، ربمـا معلقـة على الشـفاه، لكنـه (دائمة) كان عكسهم جميعًا.

" فرح" يعتقد أن الوضع السياسيّ العام هو سبب ضجره، فما زال يحتفظ بالذاكرة بأن " القدس عربية رغم ما يشاع عن إمكانية تدويلها أو تقسيمها أو تهويدها"، وما زال يعتقد كذلك أن جرح لبنان ما يزال راعفًا، وأن أرتيريا لن تشكل وجعًا للأمة العربية، وما زال الناس يعتقدون أن إسرائيل هي العدو رقم واحد، ولأنه لم يبح بهذه الهواجس التي يعاقب عليها العرف العام أقنع نفسه أن كل ذلك ليس له علاقة بما يعانيه.

وغالبًا ما كان يفسر ضجره بالحالة الاقتصادية، فلو كانت هناك سوق عربيّة موحدة، وجامعة عربيّة قويّة تؤمن بأن الاندماج والتكتل هما السبيل لمجد الأمة الاقتصادي على أقل تقدير، ويتساءل لماذا لا يكون للعرب عملة موحدة وجواز سفر موحد ورسوم جمركية موحدة كما لهم رب واحد يوحدونه، ربما لأدى كل ذلك إلى هبوط الأسعار وازدياد دخل الفرد بما يكفل حياة رغيدة،

ثم تبين لفرح العلاقة التي تربط الاقتصاد بالسياسة فكان عليه أن يغير قناعته كما يغير كل مساء جواربه.

جلس إلى ذاته وأطلق سيجارته لتعانق بدخانها أطراف الغرفة وقال: لماذا لا تكون الحالة الثقافيّة التي تمر بها الأمة هي السبب؟ فالمثقفون عاجزون عن تحديد ما يجب أن تكون عليه الحال، عاجزون عن مقاومة التطبيع مع أعداء الأمة، منقسمون على أنفسهم بين منفتح ومنتفخ على الثقافة العالميّة أو مستلهم من التراث العربيّ الأصيل..

متفرقون بين مؤمن بتطوير الشعر ومحافظ على القصيدة العمودية، ومجدد ينظم شعر التفعيلة.

ضائعون بين وزراء الثقافة؛ فهذا يؤمن بالإبداع وذلك بالإتباع، وذلك يدعو لثقافة المجتمع، وغيره لثقافة النخبة،

ومحافظة على اعتماد اسمه في معجم الأدباء الأردنيين الجديد، تناسى قدرة الثقافة على جعله ضجرًا دائمًا.

انقطع المطر من السماء، واستغرق فرح يبحث عن سبب ضجره وقهره، فلم يجد إلا الصداقة والحالة الاجتماعيّة سببا مقنعًا لما يعانيه، فوالده تزوج على أمه الجميلة، وأخوه طلَّق خطيبته، لأنها لم تحصل على الشهادة الجامعية، ولأن ابنه اختار تخصص الرياضة بدلا من تخصص الفنون الذي كان يرى نفسه فيه، ثم إن صديقه سامر على حين غرة لم يُعد إليه الرسائل التي كان أعطاه إياها مفتخرًا بألوانها وكلماتها وعددها.

نهض " فرح" وانقطع حلمه وتأكد أن اليوم هو الجمعة ولا دوام فيه، انفرجت أساريره، وابتسم لأصغر أبنائه الذي غالبًا ما يصحو بالوقت نفسه، ضحك وتبين له أن سبب حزنه وغضبه هو الوظيفة، عاد إلى فراشه ونام.

حلم

ذَات حُلُم اسْتخْدمت (الْفَيْس بُوْك) لِلْبَحْث عَن عَرُوْس، وَبَدأَت عَمَلِيَّة الْبَحْث بَعْد أَن نَشَرْت عَطَاء رَقِم 1 وَعَطَاء رَقِم 2 (مَطْلُوْب عَرُوْس).

وَفِي. لَيْلَة ظُلْمَاء... تَحْدِيْدا بَعْد مُنْتَصَف الْلَّيْل اعْتَرِضت سَيَّارَتِي سَيّارَة (شيفروليه).

وَيارِيَت مَا رَدَّيْت، تَوَقَّفَت لأن الْطَّرِيْق مُغْلَق، وَالْوَضْع مخيف وَلاَ يُسَر عَدُوّا صَدِيْقا.

- انزل.
- نَزَلَت.
- هُوِيَّتِك.
- حَضْرَتِك.

مِين، شَرْطَة، درَك، سِيَر، بِيئِة.

- هُوِيَّتِك، كي لا نظْلِم غَيْرك.
- يَعْنِي أَنا مُعَرَّف وَمَطْلُوب.
- نَعَم.

بَنَات الْنَّاس ليست لُعْبَة.

- بَدك عَرُوْس بور... تجيد الرقص أكثر من الهمس، امرأة حزبية، وأرنبية، وكَمَان نَاطِحَة سَحَاب، مِن سْمَحْ لك بأن تَنْطَح الْسَّحَاب.

(جَاد اللّه) – رَجُل مَفْتُوْل العضلات وِشِوَارْبَه مِثْل قَادون الْبّسْكْلَيت... نَفْسِي انفس عِجَال سَيَّارَتك وَانْفخ بِوَجْهِك.

-... يَا أخِي كَثِيْرِة هِي وَسَائِل التَعَبِيّرِ وَالتَّنْفِيْس.

نَفْس... مِين رَاد عَلَيْك، هَذَا قَانُوْن الْصَّوْت الْوَاحِد وَهَاي دِيَك أحْمَد، وَهَاي قَانُوْن الْضَّمَان الاِجْتِمَاعِي، وَهَاي فَوَاتِيْر الْكَهْرُبَاء،

وَالتَّقْسِيْم الْجَدِيْد لدَّوَائِر الْنُّوَّاب، وهاي ثمانية وتسعين ألف عانس حل مشكلتهن، وَقَبْل أّن أَكْمل الْمُوْضِوُع...

شَد وَثَاقِي وَغطى عُيُوْنِي وَكَتَم أَنْفَاسِي...

وَصِرْت " لا من ثمه ولا من كمه".

وَبَعْد سَاعَة مِن الاهَانَات وَالْشَّتْم وَالْضَّرْب وَالْطَّرْح أَرْضًا... وَصلْنَا...

- أَدْخُل...
- وَيَن، عَلَى مِين...
- الْتَّوْبَة ... وَاللَّه مَا بَعيْد طرِح أيَة عَطَاءَات، لا عَرُوس وَلاَ بَطَل عَلَى بَنَات الْنَّاس مِن هَوْن لآخر الْعُمْر، وَلاَ بحْكِي عَلَى حَد، أنَا ابْن...
- كاز وَبِرْمِيل كَاز وإسطوانة غَاز رَخِيْصَة بِسِعْر مَدِعُوم.
- مِين حَبِيْبَتِي ... أم أوْلاَدِي ... نُوْر عَيَوْني.
- رَح تَدْفَع الثَّمن غَالِي رَح أنْتَقَم مِنْك عَلَى سِوالِيفِك عَلَى الْحُكُوْمَة وَتَدْفَع رُسُوْم الإعْلان وَالطَّوَابِع... وَتَعْتَذِر بِنَفْس حَجْم سوالِيفك ... وَعُمْرك مَا تَقُوْل بَدِّي أَتَجُوز... وتبزق الْتَّوْبَة – رَح اقْص لسانك ... وَأَقُص.

لم أعد قادرًا على النوم، ولست قادرًا على الاستيقاظ، أمس كنت غير قادر على القراءة، اليوم لا أستطيع الكتابة، أمس حين خرجت قاصدًا عملي حملتني وسيلة النقل التي لا أذكر لونها إلى جهة لا

أعلمها، وعند المساء وجدتني قد وقعت على دفتر الدوام قبل أن يتحول إلى نظام بصمة العين.

صديقي هذا الصباح اعترف بأنه وشى لصديقتي عن عدم رغبتي بالاستمرار بهذه العلاقة، رغم أنني في الأمس أفشيت سره، وقلت لصديقته أنه نادم على قطع العلاقة بينهما، لم أصلِ الظهر اليوم رغم أن آذان المغرب قد حان، لا أجد تفسيرًا لنسيان قص أظافري المقصوصة، ولست بمنكر أن الإنسان يستطيع أن يطبع رواية وهو لم يتعلم القراءة، جارتنا تتمنى أن يكون لها طفلة أو طفل وهي لم تتزوج بعد، وترفض الزواج من جارها الذي يحبها كثيرًا، وربما أكثر مني مقطع من رواية لن تكتب.

دقـات

الدقة الأولى:

كيف أستقبل القادم مشرق الوجه، ربما بدأت حقا أعشق مثل هذه النهايات لقدوم فجر جديد... آه، ما أقسى المجهول؟ وكيف يتربع على الأنفاس كاتما إياها حتى الأعماق، حتى الجذور، لا بل حتى ذلك الجزء المجهول من اللاشعور... تُرى، هذا القادم كيف يكون؟؟؟

الدقة الثانية:

أفتح التلفاز، ألوان براقة، أجساد بين مد وجزر، موسيقى صاخبة تعلن حالة فوضى يعيشها الناس، احتفال مارد، حلم فرح، صور لانفجار، أغلقه بعفوية، ربما بخوف، بارتجافة تسري بين جوانب القلب فيبدأ الجسد بالارتجاف تماما كتلك الساعة التي تتجمد على جدار العين، نهاية حزينة لثانية أخرى...

الدقة الثالثة:

الليل ذاهب في الحزن، يغزو قسماته الذبول، لا لون له، نجوم مطفأة، ما أقسى ليل لا تلونه نجوم!!... متى يغرق الليل في فجر يوم جديد؟؟ ربما لا يفرق الليل، بل الفجر يلقي بأمواجه على شواطئ الليل، فيخطف منه لونه الأسود فيتركه بلا لون، ليتلاشى دون أثر ولا حضور... الساعة فجأة تعلن ولادة جديدة...

الدقة الرابعة:

أصوات المآذن في الخارج تملأ المكان سكينة وحياة، صوت نعشقه، يتربع وسط القلب، صوت ينبعث فيبعثر عتمة الليل، ويتناثر بردا وسلاما على الكون ليزدهي بأجمل الثياب، يختلط الأبيض والأسود بحب وتآلف، أصوات العصافير تعلو وتعلو، لتبدد ما تبقى من سكون الفجر، ومن وراء ضباب النوافذ المغلقة، لتنتهي الثانية الرابعة ويبدأ فجر جديد

الدقة الخامسة:

أغصان الأشجار تضرب زجاج نوافذ البيت، أغصان جرداء عارية من الورق تثير خوف الليل وبرد الثلج، وريح تعصف بفروع الأشجار، أغصان تتلصص علي تحاول التأكد من يقظتي، وسلطان النوم يمارس سطوته وما زلت في حالة الصحو، أجمع أجزائي لمعركة القادم، الوداع، الرحيل، الفقر، الجفاء، وربما استقبال فرح طال انتظاره، أيتها الأغصان بهذا الجسد المتعب الشقي سأغلق بوابة الريح، أمزق في عيوني ذكريات ليل طال، أقلب وريقات التاريخ المعلقة على جدران ليل ما سكن سواده... أحاول إيقاف دقات

ساعتي الجدارية ...
غافلتني الساعة وأعلنت وفاة الدقة الخامسة...

الدقة السادسة:

كم كنت ساذجاً حين سمحت لك بالرحيل، حينها ستلهو بي أشباح الوحدة والظلمة والحلم الجديد، اعتدت وجودك تماما كوجود القلب المتعب في الجسد المسجى على بوابة الانتظار، غافلتني الساعة، دقت معلنة الرحيل، وتركتني وحيدا ألتهم ما تبقى من ذكريات جميلة، عطرك، ابتسامتك، نظراتك، شعرك الكستنائي، عيناك الغارقتين في حلم لم يأتِ، ذكريات تمتد من وجد إلى نهاية العمر.

على سرير الشفاء

في حياة كل منا حكاية، في السماء وعود كثيرة، وأشياء جميلة، على الحروف كثير من النقاط، في جعبة الحواة كثير من المفاجآت في وزارة الزراعة كثير من المستشارين وفي الثقافة والشباب والسياحة والآثار والنقل، مستشارون أكثر من الموظفين، وفي النفس كثير من الأماني والأحلام والطموحات، وفي ملابس النساء كثير من الإغراء، وفي الصحف قضايا تبدأ ولا تنتهي، وفي خلق الله آيات كثيرة للمؤمن والضال...

قيل إن عبد ربه، عَبَدَ ربَّهُ ثلاثين عاما كما ينبغي " للعبد أن يعبد ربه... " صلى الصلوات الخمس والضحى وقام الليل وتهجَّد آناء الليل وأطراف النهار، وصام رمضان، وأتبعه ما تيسر من شوال، واعتمر

في كل عام مرتين وحج سبعا، وأخرج زكاة ماله وتصدق زيادة للجمعيات الخيرية ودور الأيتام وأقام الموائد في رمضان، وسعى في إصلاح ذات البين، ابتداء من رد المطلقات ومروراً بقضايا الدهس والدعس وكان شيخا للعشيرة، تعقد على يديه الصلحات الكبيرة...

وذات حلم ارتكب عبد ربه غلطة أو هفوة لا ترقى إلى مرتبة الكبائر ولا تصنف دينيا مع الكبائر والصغائر...

ذات حلم لبس الحرير، واستقل طائرته الخاصة طار بها إلى جزيرة الأحلام حيث لا ليل ولا نهار... حيث لا صيف حار ولا برد قارس، وقيل إن جزيرة الأحلام فيها ما لذ وطاب من النساء والطعام والشراب، ابتداء من الكباب وخبز البوري وغيرهما، ومرورا بالستيك والكفتة والمسخن والمناسف وغيره الكثير...

رقص عبد ربه ساعة أو يزيد، وشرب كما أوصاه الطبيب لترا من شراب صفا وطاب مذاقه، والتفت الساق بالساق واختلطت الأجساد بالأضواء، وغنى وهو لا يجيد الغناء أفضله وأعذبه حتى ظن أهل الجزيرة أنه " الشاب خالد " الداخل في كل اللغات والخارج على كل السلالم الموسيقية...

وفي الصباح وجد بيته مُحاصَراً برجال الشرطة وبالأسلاك الشائكة من الجهات الستة، ورجال الصحافة وجمعيات حقوق الإنسان وممثلي الفعاليات الشعبية والرسمية وسفراء الدول بمختلف ألوان أعلامها، كل هؤلاء يستخدمون الآلات للتصوير والتسجيل...

وأعلن قائد قوات الأمن أن منزل عبد ربه محاصرٌ وأنه لا بد أن يستسلم دون إراقة دماء، ثم تليت عليه لائحة الاتهام والتي تسربت معلومات عنها إلى وسائل الإعلام جاء فيها...

- إن المذكور يقترف فعل الكتابة والقراءة، ويجيد الاستماع إلى الشعراء ويقترف الصحافة الإلكترونية... .

- جده لأبيه له علاقة صداقة بسقراط وتلميذه أفلاطون .

- أمه قد نظمت ذات مساء بيتا من الشعر ما زالت رسائل الدكتوراه تقدم حوله وتعقد الندوات من أجله.

ويذكر أنه حضر اجتماعات عديدة للجنة مقاومة التطبيع وهيئات ذات صلة منها حقوق الإنسان، إلى كثير من التهم الأخرى.

حاول " عبد ربه " أن يجد زوجته أو دليل الهاتف أو أحد أولاده البالغ عددهم عدد تلاميذ المسيح، وتبين فيما بعد أن جميعهم وحرصا على مصلحة الوطن العليا، انسحبوا من المكان، وأخلوا البيت.

وجد صديقنا عبد ربه نفسه في وضع لا يسر صديقا ولا عدوا، وحاول جاهداً أن يتصل بمحاميه فلم يفلح فقد قطعت كل الأسلاك الموصلة...

وكان لا بد أن يستسلم رغم تلك البقعة التي وجدها على ملابسه الداخلية والتي هي من آثار حلمه في الليلة الماضية، وعليه قرر صاحبنا وحفاظا على الوحدة الوطنية الانتحار بأي طريقة متاحة...

كتب على ورقة صغيرة الكلمات التالية:

عملا بحرية المعتقد والدين والرأي والدستور والميثاق وسواليف وحتى لا أكون آخر من يقترف في نومه الحلم وفي صحوه الكتابة واحتجاجا على رفع أسعار وقود الطائرات، وأجور النقل في القطارات وتعديل قانون ضريبة الدخل، الضمان، والمبيعات ونتيجة لرفع أسعار النخالة ومشتقاتها وقانون الانتخاب بما فيه الصوت الواحد والكوتات والدوائر الانتخابية، وتقرير (هيومن أيش) واتفاقية سيدوا، ورفع أسعار الحديد شد 40 و60 وإعادة انتخاب مجلس نقابة الفنانين وزيادة رسوم الجامعات، وإلغاء التغذية المدرسية، قررت الانتحار بالكتابة، واستنكر ما بدر مني من أقوال وأفعال خلال ما تقدم من عمر وما تأخر، أتوب إلى الله توبة يُغفر فيها ما تقدم وما تأخر...

وجاء قبل قليل أن لجنة قد شكلت، وأن أحكاما قد أصدرتها اللجنة، قررت اللجنة حكم هذا الصالح بإعدامه كل مساء بحلم جديد...

أحلاما سعيدة وتصبحون على خير...

رحلة إلى الحياة

لِلألَم طُقُوْس كَمَا لِلْفَرَح طُقُوْس الألَم يَشْتَد وَيَتَجَدّدُ الْحُزْنُ كَمَا تَتَجَدَّد الْأيّام والليالي، الْحَيَاة مَحَطّات مِتُجّدَدَة لِلْشَّقَاء وَالأَلَم وَالْحزَن تُكَرّر نَفْسَهَا وَأيُّوب مَا زَال صَابِراً

وَالأَحْزَان تَغَيَّر مَلَامِحَهَا، لَكِنَّهَا تَتَجَدَّد كَمَا تَتَجَدَّد الْفُصُول لَا بُد أنَّه الْمَرَض اللَّعِيْن، الأَطْبَّاء يَنْظُرُوْن الى مَرَضِي عَلَى أنَّه شَيءٌ عَادَي جَدَّا.

الأَطْبَّاء كَعَامِل الْبِنَاء وَالمِيْكَانِيكِي يَتَعَامَلُوْن مَع الأَشْيَاء بِرَتَابَة ، قَاتَلَة، وَأنَا بَيْن مَوْت وَمَوْت مُسَجَّى عَلَى الْسَّرِيْر ظَاهِرُه أبْيَض وَبَاطِنَه الْعَذَاب، جسدي ممدد مِن أقْصَاه الَى أقْصَاه.

وَنَظَرِي يُلَاحَق الْمُمْرِضِين وَالأطِبَاء الْدَّاخِلِيْن وَالْخَارِجِيْن

الْعُيُون فِي حَرَكَة دائبة

جَفَاف يُغْلق الْحَق

الأجَهَزّة الْسَّمْعِيَّة تتَلَقَّى تَعَالِيْم الأَطْبَّاء وَالإسْتِجَابَة فَوْرِيَّة وَدُوْن مُنَاقَشَة

تَأَوُّهَات تَمْتَمَات

وَحَمِدَاً لِلَّه عَلَى كُل حَال

كُنْت دَائِمًا أعْتَقَد أَنَّنِي قَادِر عَلَى الْصُّمُود طَوَيْلَا لِتَحْقِيْق كَثِيْر مِن الْآمَال وَالطُمُوحَات وَإِنْجَاز مَا يَصْعُب إنْجَازُه.

وَالْآن لَا بَد أن أُطأطِئ رَأْسِي، يَمُر الْمَرَض فَقَد قِيَل "احْفَظ رَأْسَك فَان الْرأس الْمَرْفُوْعَة تَشْفِي صَاحِبُهَا " بَدَأَت أنْفُذ أوَامِر الْأَطْبَّاء دَائِما فَلَا حَاجَة لِلْتَّفْكِيْر.

عَلَيْك أن تَمْتَنِع عَن الْسَهَر وَإطَالَة الْنَّظَر الى الْمَرَايَا.

عَلَيْك ألَا تَكَثَّر مِن الْمَشْرُوْبَات حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا.

لَا شَرَاب، الأوَامِر تَتَسَاقَط كَالْمَطَر وَأنَا أمَارِس طُقُوْس الانْصِيَاع.

بَدَأ الْأَطْبَّاء وَالمُمْرِضُون وَكَأَنَّهُم يُمَارِسُوْن عَمَلَا فَنِّيا لَا عِلَاقَة بِالْعَوَاطِف فِيْه.

لم أَلْحَظ عَلَى وُجُوْهِهِم شَيْئا مِن الْحُزْن، انعكاساً لِمَا أعَانِيْه مِن فَجِيْعَة وَأَلَم، وَمَا يَعْتَصِرُنِي مَن خَوْف وَحَزَن.

كَثِيْرًا مَا كَان يخْطِئ الْمُمْرِض بِوَضْع إبرَة الْوَرِيْد ثُم يُكَرِّر الْمُحَأوَلَة بِلَا رَحْمَة أو هَكَذَا كُنْت أعتقد.

مُحَاوَلَات فَاشِلَة، الآلام تَزْدَاد وَقَدَرِي بَيْن يَدَي الْطَّبِيْب لَا بُد مِن إجْرَاء عَمَلّيّة جِرَاحِيَّة! لتخليصه من الآلام

الْغُرْفَة بَدَأَت تَكْتَظ بِرِجَال الْفَضَاء، الْأَطْبَّاء وَالْمُمَرِّضَيْن وَالأدْوّيّة، الأَسْلاك تُحِيْط بِجَسَدِي الْسَّاكِن مِن الْجِهَات السِّت، أعْدَاد مِن الْمُتَبَرِّعِين بِالْدَّم، عَيْنَان تَفِيْضَان بِالْدَّمْع، إلَا أنْت يَا سَيِّدِي دُمُوعِك تَمْنَحُنِي مَحَبَّة الْحَيَاة، دُمُوعِك تَمْنَحُنِي الْشِّفَاء إلَا أنْت تُمَارِسِيْن

الْخَوْف عَلَي، بَيْنَمَا يُمَارَس الآخِرون الْفُرْجَة عَلَى أَلَمِي الْمُتَدَفِّق كسيل.

لَم يَكُن سَهْلَا أن أتَذَكَّر فِي ذَلِك الْوَقْت، الأَصْدِقاء الَّذِيْن تَمَنَّوْا نِهَايَة لِي... لَم يَكُن لَدَيْهِم فَرْق أن تَكُوْن تِلْك الْنِهَايَة سَعِيْدَة أو مُؤْلِمَة، مَا زَال أمَامِي بَعْض الْوَقْت أتَذَكَّر فِيْه أبْنائِي.

تَذَكَّرْت أنّي كَتَبَت لَهُم طُمُوْحَاتِي الَّتِي أرَاهَا فِيْهِم فَرُبَّمَا اسْتَطَاعُوْا تَحْقِيْقِهَا، لَكِنِّي أدْرَكْت فَجْأَة أن عَلي تَرَكَهُم يُقَرِّرُون مَا يُحِبُّوْن لَا مَا أتَمَنَاه أنَا.

لَا فَرْق بَيْن أن يُصْبِح أحَدُهُم قُدَّيْسَاً أو ضَالاً، أن يُصْبِح أحَدُهُم طَبِيْبَاً أو تَاجِراً، مُهَنْدِسَاً أو عَامِل بِنَاء، صحفِيّاً أو مُخْبِراً، وَزِيْراً أو نَائِباً، لَا فَرْق لِيَكُن لَهُم مَّا يُرِيْدُوْن.

غَالِبُا مَا تَكُوْن الْمَرْأَة الْمُنْهَمِرَة دُمُوْعِهَا تَلْبَس الْسَّوَاد تَتَوَشَّح بِه، الْلَّعْنَة مَا زَالَت الْكَلِمَات تَتَكَرَّر "مَا زَال عَلَى هَذِه الأرْض مَا يَسْتَحِق الْحَيَاة" وَهُنَاك الْكَثِير مِن الأعْمَال الَّتِي تَحْتَاج إلَى وَقْت طَوْيَّل لإنجازها.

مَجْمُوْعَة مِن الأحَاسِيَس تَزَاحُم بَعْضُهَا بَعْضا

الْمَرَض وَالْصِحَّة، الْمَوْت وَالْحَيَاة، الْحُزْن الْسَرْمَدِي وَالْفَرَح الْمُسْتَوْطِن إغْفَاءَة قصيرة عَلَي أن أتَّخَيُّل مَرَاسِم الْدَّفْن.

صُرَاخ يَمْلَأ الأفق!

صَمْت تصم له الآذان.

آيات مِن الْقِرَآن الْكَرِيْم ربما هو صَوْت عَبْد الْبَاسِط عبد الصمد.

الْشَّيْخ يُوَسُف يَتَقَدَّم الْجَمِيْع، أحْتَاج لمَاء سَاخِن، الْمَيِّت يُحِس بِالْمَاء الْبَارِد.

هَل أعدَدْتم الْكَفَن؟ هَل أحَضَرْتم الْعُطُوْر وَالْزَّيْتُون وَالْبَخُور؟ هَل أحَضَرْتم قِطْعَة مِن الْصَّابُوْن الْمَصْنُوْع يَدَوِيّا من مُخَلَّفَات الْزَّيْتُون؟

الْشَّيْخ يُوَسُف يَصُب الْمَاء عَلَى جَسَدِي تَذَكَّرْت أنّي أَوْصَيْت بَأن تَغْسِلنِي عِنْد الْمَوْت رَفِيْقَة دَرْبِي لَكِن غَالِبَا مَا يُلْغِي الْأَحْيَاء أمنيات الْأَمْوَات.

كُنْت دَائِمًا أحِب الاسْتِحْمَام وَاقِفَا وَالْآن مُسَجَّى عَلَى خَشَبَة كَأَنَّهَا مِن الْصَّخْر... الْشَّيْخ يُوَسُف يَطْلُب بِاسْتِمْرَار صَب الْمَاء

نَاوِلْنِي قِطْعَة قمَاش

لِأَوَّل مَرَّة يِقُوْم الْآخِرِون بِهَذِه الْأَعْمَال نيابة عَنِّي أتْحَوَّل بَعْد حِيْن إلَى مَاض، سَامَحَك اللَّه.

سَامحوه

كَلِمَات الْشَّيْخ يُوسف ترن في سمعي

اسْمَحُوا لَأَبْنَائِه وَبَنَاتِه أن يُلْقُوْا عَلَى جسده الْنَّظْرَة الأخِيْرَة

أَصْوَات تَتَعَالَى

اطْلُبُوْا لَه الْرَّحْمَة، وَأحْسِنُوَا إلَيْه بِالْعَمَل وَطَلَب الْمَغْفِرَة.

اللَّه أَعْطَى وَاللَّه أَخَذ "إنَا لِلّه وَإنَا الَيْه رَاجِعُوْن" هَذَا الْعَمَل الَّذِي لَم يُنَافِسُنِي بِه أشْخَاص كَثِيْرُوْن، كَانُوْا يخْرِجُوْن عَلَي كُلَّمَا فَكَّرْت فِي الْقِيَام بِعَمَل مَا

الْحَمْد لِلَّه بَدَأ الْأَصْدِقاء يَتَوَافَدُوْن عَلَى الْمَكَان، رَهْط مِن النَّائحين والنّائحات، الْبَاكِيّين وَالْبَاكِيَات... الناسُ يَتَكَاثَرُوْن كَنَمْل يَبْحَث عَن غِذَائِه... اجْتَمَع رِجَال وَنَساء يَصْعُب حَصْرُهُم، أعْرِف بَعْضُهُم وَكَثِيْرُين لَا أَعْرِفُهُم وَلَم أُشْاهِدْهُم مِن قَبْل.

الْأَلْوَان وَالأَصْوَات تَخْتَلِط وَأَنَا مُسَجَّى عَلَى الأرض مُغَطًّى بِحَرَام فَاخِرٍ اشْتَرَتْه زوجتي مِن الْسُّعُوْدِيَّة رُبَّمَا لِمِثْل هَذَا الْيَوْم!

الْمَكَان يَضِيْق بِالْحُضُوْر...!

لَيْتَنِي أسْتَطِيَع الْنُّهُوْض، فَهذَا أَفْضَل مَكَان أسْتَطِيَع الْخَطَّاب فِيْه، فَالانْتِخَابَات عَلَى الْأَبْوَاب انْتِخَابَات الْنَادِي الرِّيَاضِي وَالجَمْعِيّة الْخَيْرِيَّة وَالْمُلْتَقَى الْثَّقَافِي وَمَجْلِس الْعَائِلَة وَالْمَجْلِس الْبَلَدِي وَأَمَانَة الْحِزْب وَالْبَرْلَمَان، وَقَد سَمِعْت بِأَنَّه سَيُنْتَخَب بَعْد حِيْن رَئِيْس الْوُزَرَاء فَهَل أفْضَل مَن هَذَا الْجَمْع الْصَّامِت اسْتَطِيَع الْحَدِيث فِيْه صَوْت مِن مَكَان عَمِيْق: لَا بُد مِن نَقْل الْجُثْمَان إلَى الْمَسْجِد فَقَد اقْتَرَب مَوْعِد الْصَلاة وَإكْرَام الْمَيِّت دَفْنُه

إنا لِلّه وَإنَا الَيْه رَاجِعُوْن

صَوْت آخَر:

- أوْصَانِي الْمَرْحُوْم أَن نَضَع مَعَه فِي الْقَبْر قَلْما وَأَوْرَاقا وَبَعْض الْصُّحُف الْيَوْمِيَّة والأَسْبوْعِيّة وَالدَورِيَات.

صَوْت آخَر:

لَه الْرَّحْمَة بِالْحَيَاة وَالْمَوْت نَحْتَاج إِلَى قَبْر آخَر لِدَفْن مَا طَلَب.

لَا حَوْل وَلَا قُوَّة إِلَا بِاللَّه، خَرَجت مَحْمُولا عَلَى الْأَكْتَاف...

رُبَّمَا هَذِه الْمَرَّة الْثَانِيَة الَّتِي أَحْمِل فِيْهَا، فَقَد حَمَلَتْنِي الْقَابِلَة قَبْل وَقْت قَصِيْر وَأَنَا أَهْبِط إِلَى الْحَيَاة أو أَخْرُج إِلَيْهَا...

يَنْطَلِق الْنَّاس بِنَعْشِي مُسْرِعِيْن نَحْو الْمَسْجِد.

يَمْتَلِئ الْمَسْجِد بِالْمُصَلِّيْن كَمَا يَمْتَلِئ بأيام الْجُمُعَة وَالأَعْيَاد.

كَثِيْر مِّنْهُم يَقَرَؤون الْقُرْآن.

الْمُؤذْن يُقَيِّم الْصَّلَاة...

صَلَاة الْجِنَازَة.

وَيَدَعُوْ الْلَّهُم اغْفِر لَه، الْلَّهُم ارْحَمْه...

الْلَّهُم اغْسِلْه بِالْمَاء وَالْبَرَد وَطُهْرِه مَن الْخَطَايَا وَالأَثَام يَا رَب الْعَالَمِيْن...

اللْهَم اغْفِر مَا تَقَدَّم مِن ذَنَّبَة وَمَا تَأَخَّر...

وَمَا عَلِمْنَا وَمَا لَم نَعْلَم...

يَتَدَافَع مَجْمُوْعَة مِن الْشَّبَاب لِحَمْل الْجُثْمَان الْرَّاقِد فِيَه عَلَى الْطَّرِيْق الْمُوَصِّلَة لَلَمْقَبَرَة.

- رَحْمَه الْلَّه كَان يُحِب الْنِّسَاء.

- رَحْمَه الْلَّه كَان مُغَامِرَا ضَجِرَا" دَائِم الشَّكْوَى

- رَحْمَه الْلَّه لِي بِذِمِتّه خَمْسُين دِيْنَار.

- رَحْمَه اللَه سُرِقَت مِنْه كُتُبا كَثِيْرَة.
- رَحْمَه اللَه كَان يُحِب الْحَيَاة.
- رَحْمَه الله أَخِيرًا" وصِل الَى الِقِمَّة.
أَخيرًا" اسْتَطَاع الْوُصُول إِلَى الِقِمَّة إِلَى الْصَّف الْأَوَّل لَا يُزَاحِمُه أحَد...
أعْيَّاه الْتَّعَب وَهُو يَبْحَث عَن امْرَأة بِحَجم الْحَيَاة وَمَات وَهُو يَبْحَث عَن ذَاتِه.
الآن سَيَجِد كَثِيْرا مِن الْعَقَارِب.
أتْمَنَى لَك وَقْتاً مُمْتِعَا وَسَعِيْداً...
- وَمَضَى كَالْبَرْق سَرِيْعَا"، لَم يَرْتَوِ، عَاش يَبْحَث عَن سَرَاب وَالْيَوْم يَرْحَل إِلَى الْبَعِيْد، إِلَى جَزِيْرَة لَيْس حَوْلَهَا بِحَار
وَلَا تُصَل إِلَيْهَا قَوَارِب الْنَّجَاة - جُمُوْع كَثِيْرَة تُرَافِق الْجُثْمَان
أصْدِقَاء مِن مُخْتَلِف الْدِّيَانَات وَالاتِّجَاهَات وَالأحْزَاب وَالْكُتَل وَالمُسْتَقِلِين.
صَوْت وَاحِد.
إنا لِلّه وَإنَا إلَيْه رَاجِعُوْن –
نِسَاء عَلَى الْشُّرُفَات يُوَدَّعْن الْمَيِّت.
أطْفَال يَرْكُضُوْن وَأنَا مُحَاصَر بِهَذَا الْثَّوْب الَّذِي أَلْبِسُونِي إياه.
مَا أحْوَجَنِي الآن إِلَى رَحْمَة رَبِّي وَمَغْفِرْتّه.
مَا أحْوَجَنِي الآن لِلْعَوْدَة للحَيَاة.
يَغْلِبُنِي الْصَّحْو.

كَان حُلْمَا قَاسِيْا وإنَّا للّه وَإنَا الَيْه رَاجِعُوْن
الْشَّيْطَان عَلِى الْكُرْسِي الْمُقَابِل.
لَابُد أن تَسْهَر هَذَا الْمَسَاء، فَالَحَيَاة جَدا قَصِيْرَة... صَوْت الْشَّيْخ يُوَسُف يُرَدّد.
"يَا أيَّتُهَا الْنَّفْس الْمُطْمَئِنَّة ارْجِعِي إلَى رَبّك رَاضِيَة مَرْضِيَّة فَأَدْخُلي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي " إنَا لِلّه وَإنّا إلَيْه رَاجِعُوْن.!

يوميات محتضر

"لم يرفع سيزان رأسه وكان يخاف أن يضع الريشة جانبا، لأنه حين يتوقف عن العمل كان يشعر بدوار العدم يطبق علية "

أيها الأصدقاء:

بين حياة قاسية وموت خيط وكلمة... خيط من أمل وقرار من قدر... "كن فيكون"

سأكون، ربما قبل أن أكمل هذه الكلمات على ضفة الحياة الأخرى...
ربما بعد رفة جفن، أو ومضة برق...
كنتم سواد العين... .وفي القلب لكم مكانة...
وكانت بيننا ذكريات، نزهو حينا ونذرف الدمع على اختلاف الفجيعة بفقدكم أكثر...
والفجيعة رحيل بلا عودة... دون كلمة وداع...
أسقط كجذع أطاح به فأس، أو كزهرة قطفتها يد عابثة
الفجيعة قادمة، وغروب شمسي ربما تغرب بعد نهار متعب.....
الفجيعة قادمة، والأصابع غير قادرة على مزج مداد الحبر بنزف الدم...
الفجيعة قادمة، والصوت مخنوق بكلماته "ما زال على هذه الأرض ما يستحق الحياة"
الفجيعة قادمة، لكنه قضاء الله وقدره ولا نملك إلا الرضا والقبول والإستسلام.
الفجيعة قادمة، والألم بوابات تفضي إلى الموت.
" قال المتنبي: المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال.
الفجيعة قادمة، ووجهي تنسدل جفناه بعد وقت، ربما قبل أن يكتمل وجعي... أخرج عليكم جسدا مسجى... جرحا يبكي على فقيد.
الفجيعة قادمة تعصف بما تبقى من أوراق... كريح تأتي ذات خريف على شجرة الذكريات شوقاً.

الفجيعة قادمة، وطير الموت الخرافي ينتزعني مني ويغتال... الفرح بكم... يضربني بفقدكم.

الفجيعة قادمة، ومداد القلم حتماً سينضب والعين كلت من الشوق... والموت قدر لا يقاوم بشوق أو أمنيات.

الفجيعة قادمة، بشربة ماء لا تلغي ظمأ محبتكم.

الفجيعة قادمة، لا يلغيها قلب معافى بمحبتكم... فهو وإن تعافى مضطرب بين شوق وشوق

الفجيعة قادمة، ربما لآخر محاولة وإن هرع الأطباء أو لهج الأصدقاء ببعض دعاء.

الفجيعة قادمة، بين شروق وغروب.

الفجيعة قادمة، لا طاقة لي بتحمل هذا العالم الغريب.

الفجيعة قادمة، لن تنفعني سجايا أو مزايا... أو تفرد

الفجيعة قادمة، لا ينفعني ذكاء أدعية أو عمل جماعي حافظت على فعله كل وقت وحين.

الفجيعة قادمة، والحنين ما زال يحترق بعد كل حديث ينبثق عنه فعل أو عمل.

خسارتي بكم مؤلمة... لا ينفعني بكم قلب ضحوك... ولا نية صافية

أيها الأصدقاء :

اكتبوا لي... قبل أن تبكي السماء

عليكم سلام ورضوان... ولي منكم... إنا لله وإنا اليه راجعون

الأفعال الجميلة

واليوم تسبقني إلى الموت

كنت دائما فرحا بالحياة من أجل الناس

وكنت دائما عاشقا للخير

كنت أسطورة في علاقاتك... مع الغرباء... مع الأصدقاء... ومع الأبناء... والعيش لا يقاس بدورة العمر.

كنت مثقفا نحج إليك، وقد تباينت الخطوب، واتسع بيننا الاختلاف!

كنت دائما محبا للخير، وبمحبة الخير تكتمل الصفات.

كنت دائما كنز المحبة الذي لا ينقص... تبلغنا مكانتنا وقد دنت لك رفعة المكانة.

كنا نتسابق إليك إذا اختلفنا بالرأي... ونتسابق إليك إذا اجتمعنا على رأي كان لك فيه توجيه وموقف.

لن نفيك حقك... ولن ينفعك كلامنا فيك وقد تركتنا... لكنه الوفاء... وكل العطايا إلى أفول إلا العطاء النقي السخي... لن ينفع النثر، وقد عجز الشعر أو عجزت عنه فيك لكني أملك في النثر بعض شعر وكله فيك يعجز.

المحتفى به صديق صدوق تطهر من عشائريته فسما محبة وعلوا.

والمحتفى به صادق في الود مسامحا في السقطات وإن كثرت.

الآن وأعترف للآخرين أن لا يعترفوا إن ابتعدنا عن ملازمتك وما يشفع لنا حياة خطوبها متعددة... ولا نملك إلا الدعاء لله أن لا يعاقبنا على تقصير لا ينفع فيه الاعتذار.

يا رب... نكرم اليوم عابداً مختلفا وقديسا للمحبة والخير والعطاء كان يستشرف المستقبل... وتنزف جراح قلبه على تخلفنا كأمة... كان يهدينا عالما من المعرفة... اسماً ومعنى، ورغم كل ذلك... كان يبعث فينا الأمل وإن قست معركة الحياة .

كان جميلا... مباشرا... ابنا للعالمية في الثراء المتصل بالإبداع، وكان محبا للطفولة..

قوله :

" ويا رب من أجل الطفولة وحدها

أفض بركات السلم شرقا ومغربا "

كان منتميا لهذا الوطن وإن صعب الإنتماء إليه

منتميا للوطن ،والوطن صورة أخرى للإنتماء ، إنه كان منتميا للإنسانية، وإن اختفت في هذا العالم ملامح الإنسانية

فاختلفت بين رؤاه والواقع المؤلم

لن ننصفك ، وهل ينصف الإنسانيون في أممهم؟ وهل نحفظ نحن على الأقل سنويا ذكرى رحيلك وهجرتك من دنيانا إلى سعة الآخرة؟

وهل نحفظ في تاريخ بلدنا المعاصر هذا التكثيف في شخصك ثقافة وصبرا وتميزا إنسانيا راقيا؟

بوجيب قلوبنا نودعك!

نفتح نوافذ الروح... وبلهفة نخلع عنا هول المفاجأة فالخطب وإن كان حقا فهو جلل.

نودعك بنبض قلوبنا... نودعك واللهفة على فراقك تدعونا للمحافظة على إرثك العظيم في المحبة والخير والإنسانية والعلم والمعرفة والثقافة والعلوم والفكر.

وداعا وإن قسى فراقك... فحسبك ونحن بعضك وهؤلاء أبناؤك الأوفياء

يا مصعب، كان أبوك يصنع روح العزم والفداء والكرم والثقافة الإنسانية، فهل تحافظ عليها وهي إرث عظيم؟

كان فينا نبضا روحا... وصدق قلب... وصوفية عاشق....

كانت بصيرته المدى... يقبض على نزف المعاناة بصبر الناسك المؤمن بانتصار الحق.

بفراقك لا بد من فارس يستلم راية المحبة والإنسانية والثقافة وإن عجزنا فحسبنا المحاولة.

(أيها الكبير فينا لقد كبرنا بك... فهل عرفت موقعك بيننا)

التحليق حيث تتبوأ مكانتك صعب، فكل منا يمتلك جناحا، وأنت تمتلك في ساميات أفعالك أجنحة.

لقد... أحسنت... وأفأت... وزدت علينا سيرة محبة... وإنسانية عالمية... وثقافة شاملة تتعانق مع مقاصد سامية وتتفق وتتقاطع مع غايات وأهداف سامقة.

بوركت حبا... وبورك أثرك فينا ما دامت الحياة فعلا ومقصدا

بـيـن مـوت ومـوت

لاَ بُد مِن لَحَظَات حَيَاة يَسْتَرْجِع فِيْهَا الإِنْسَان احْتِضَارِه، يُكْتَب بِحُرُوْف الْوَجَع قِصَّة مَوتِه، وَالْحَيَاة احْتِضَار مُتَكَرِّر...

مُؤْمِنا بأن الْكِتَابَة فِي عَصْر الإخَفَاقَات فِي زَمَن الْبَحْث الْدَّائِم عَن الْصِّدْق، الْمَحبَّة، لُقْمَة الْعَيْش، قَطْرَة مَاء نَظِيفَة، لَيْل آمِن، نَهَار مفَرِح.

الْكِتَابَة فِي زَمَن الْمَرَارَة، الْكِتَابَة فِي زَمَن الْنُكْرَان وَالْجُحُود، الْكِتَابَة فِي عَصْر الْمَوْت الْمعْنَوِي، فِي زَمَن الآلام والانْحِرَاف وَالْتَّرَهُّل، الْكِتَابَة عَلَى صَخْرَة الْقَارِئ الْعَاجِز عَن شِرَاء كِتَاب وَهْو يَبْحَث عَن لُقْمَة عَيْش...

مُؤمِنا بأن الْكِتَابَة نَوْع مِن الاحَتِضَار، تُحِب أن تَكْتُب، تُحِب أن تُصْمِت... تُحِب لِلْحُرُوْف أن تُغْلق حَنجَرَتي، الْعُيُوْن تَخْرُج مِن دُمُوْعِهَا، وَالْقِمة نَهَار أَسْوَد...

الْمَرَض خَطْوَة نَحْو الْمَوْت

الْمَرَ لَحْظَة صَمْت فِي زَمَن الْكَلاَم.

" بَيْن مَوْت وَمَوْت"

لا أصْدِقَاء... لاَ رَسَائِل عِشْق

لاَ خُطُوْط تُوَصِّل بَيْن سهام الْقَلْب الْمَقْطَوعُة

الْحُزْن جَمْرَة تَكْوي كُل الْفَرح الَّذِي تَلْقَاه رُبَّمَا صُدْفَة

الْشَّوْق بَحَيْرَة تَغْتَسِل فِيْهَا كُل ثانِيَة

أخْلَع خوْفِي، أَنْظُر إلَى الْطَّبِيْب، عَلاَمَات الْحُزْن وَالشَّفَقَة تَبْدُو عَلَى وَجْهِه، لاَ بُد مِن دُخُوْلُك الْمُسْتَشْفَى، رُبَّمَا الآن الْخَوْف يُبَعْثِر الْكَلِمَات ... وَالْلِّسَان مُحَاصَر بِالْجَفَاف .. قَطَرَات مِن الْدَّمْع تُعَانِق شُعَيْرَات خَرَجَت مِن وَجْنَتَي.

اغْتِصَاب لِلْكَلِمَات... أخْرُج... أتَمْتَم لاَ بَأْس.

لَم تَكُن لَدَي فِكْرَة وَاضِحَة عَن حَالِتِي الصَّحَيّة... فَالْمَرِيْض آخر مَن يَعْلَم... كَمَا لَم تَكُن لَدَي فِكْرَة مُحَدَّدَة عَن نَتَائج هَذَا الْكَابُوْس الْمُتجَدِّد.

قَرَّر الْطَّبِيْب أن حَالَتِي تَسْتدْعِي دُخُوْلا فَوْرِيّا مِن أجْل إجَرَاء عَمَلِيَّة حُفَر فِي الْجِهَة الْيُسْرَى مِن جَسَدِي كَجهَد وَطَنِي للتَنْقِيب عَن الْمَعَادِن الْنَّفِيْسَة وَالنَادَرة بَعْد أن تَحَوَّلَت " كُليتي الْيُسْرى" إلَى صُنْدُوْق أرْضَي لِتَكْوِيْن الأَحْجَار الْصَّالِحَة لِلْبِنَاء وَالْزِّيْنَة وَأغْرَاض أخْرَى لَم يَكْتَشِفَهَا الْعِلْم بَعْد... وَنُزُوْلا عِنْد هَذَا الاكْتِشَاف الْعَظِيْم وَبِحَمْد اللّٰه دَخَلْت الْغُرْفَة 307 فِي الْطَّابِق الْثَّالِث مِن الْمُسْتَشْفَى الْمُكَوّن مِن سِت طَبَقَات..

مَجْمُوْعَة مِن الْرِّجَال وَالْنِّسَاء يَلْبَسُوْن المَلاَبِس الْبَيْضَاء فِي اسْتِقْبَالي، أَلَم أكُن صَاحِب الْجَسَد الْنَّادِر..." وَرَائِدَا مِن رُوَّاد الْعَمَل الْتَطوُّعِي"؟ و... هَكَذَا تَخَيَّلْت.

مُمَرِّضَة ... تَدْخُل الْغُرْفَة... وَتَحْمِل مَجْمُوْعَة مِن الأوْرَاق.

الاسْم ... الْعُمْر... الْحَالَة الاجْتِمَاعِيَّة... عَدَد الأَوْلاد... مَكَان الْسَّكَن ... الْعُنْوَان... البريد الإلكتروني.

- هَل لَدَيْك أمْرَاض أخْرَى؟
- نَعَم وَكَيْف أكُوْن سَلِيْمَا فِي عَالَم الْعَيْش فِيْه مَرَض؟

لَدَى أمْرَاض كَثِيْرُه يَصْعُب عَلَي حَصْرُهَا ... فَأَنَا مَرِيْض بِالْخَوْف وَالأَمَل... مَرِيْض بِالْمَحَبَّة... مَرِيْض بِالْقِرَاءَة... وَالكِتَابَة... مَرِيْض

بِالْفَقْر ... مَرِيْض بِالْزَّائِدَة الْدُّوَدِيَّة فِي زَمَن تَنْخَر فِيْه الْدِّيْدَان كُل الْعَلاَّقَات الإنَسَانَيْة.

- هَل تَدَخَّن؟
- هَل لَدَيْك عَدَسات لاَصِقَة؟
- هَل لَديْكَ أسْنَان مُتَحرِّكَة؟
- هَل عِنْدَك ضَغْط؟

عَلَى مَن أضْغَط؟ وَأنَا الآن بِلاَ ضَغْط وَلاَ دَقَّات قَلْب.

- هَل لَدَيْك مَشَاكِل بِالْقَلْب؟

نَعَم فَالَقَلْب هُو أَلَمِي ... قَلْبي يَا سَيِّدَتِي سَرِيْع الاشْتِعَال... تَنْظُر سَلْمَى ... هَكَذَا كَانَت تَحْمِل هَذا الاسْم ... تَنْظُر... عَلاَمَات مِن الْشَّفَقَة تُغَلف وَجْهِهَا: سَلاَمَتِك.

الْسَّتَائِر بِهَذِه الْغُرْفَة ثُلاَثِيَّة الألْوَان.. مَضى عَلَيْهَا وَقْت طَوِيْل وهي تُعَانِق الْنَّافِذَة وَالأفُق وَأشِعَة الْشَّمْس.

مَرِيْض آخِر... عَلَى سَرِيْر آخِر.

- سَلاَمَتِك.
- أَنَا الدُّكْتُوْر مُحَمَّد فضِّة... أسْتَاذ الْعُلُوم السِّيَاسِيَّة فِي... أمَارِس مِهْنَة الْسِيَاسَة أكَادِيميّا مُنْذ أرْبَعة وَعِشْرِين عامًا.
- هَذَا مُثِيْر جَدًا، أسْتَاذ فضة: رُبَّما كُنْت أتْمَنَى أن الْتَقِيك مِنذ زمن.

- هَذَا لبْس مُثِير فَالسِيّاسِة لَيْسَت مُثِيْرة... وَأنَا أكَادِيمِي ... وَضِد تسييس الْجَامِعَات وَسَيْطَرَة الأَحْزَاب وَالْقُوَى السَياسِيَة عَلَى الْتَّعْلِيم.
- هَلاْ أخْبَرْتَنِي عَن الْمُسْتَوَى، مُسْتَوَى الْطَالِب فِي الْجَامِعَة؟
- أحَيَانَا كَثِيْرَة أعْتَقَد أن الْمَدْرَسَة أقْصِد الْجَامِعَة مُدَرِسَة ثَانَوِيَّة، وَكثِيْرًا ما أجِيْب عِنَدَمَا يَسَألَنِي الْعَامَّة، أَنا مُعَلِّم، وَهَذَا لاَ يَمْنَع مَن وُجُوْد طَلَبَة جَيّدَيْن عَلَى مُسْتَوَى الْبَكَالُوزْيُوس وَالمِاجسْتير.
- د. فَضِّة: عَلَى الْسَّطْح قَضِيَّة الْقُدُس وَالْنَّفَق، وَمَوقِف مصْر وَتُسَلِّط لِيَبِرُمان، وَالْدُّور الأرْدُنِي... وَنَّظَرِيّة أَمْرَيَّكَا فِي إدْارْة الْسَّلاَم وَدَوْرُهَا الْمُنْزَلَق دَائِمَا لإرضَاء اسْرَائِيْل.
- سُؤال كَبِيْر يَحْتَاج إلى صَفَحَات لِلْدُّخُوْل فِيْه... وَبِدَايَة لاَ بُد مِن الإدْراك أن هُنَاك مُخطَّطًا عَالَمِيًا لِلْمِنْطَقَة يُنَفِّذ بِدِقَّة، وَاسِرَّائِيل الْمُسْتَفِيْد الْوَحِيْد حَتَّى مِن خَلاَفات الْعَالُم... وَالْفُرْقَة الْعَرَبِيَّة... كُلَّهَا تَسْتَدْعِي أن تَمُر الْمِنْطَقَة بِهَذِه الأَزِمَة وَأزَمَات أخْرى وَرُبَّمَا أصْعَب مِنْهَا هَذِه الأحْوال الِّتي تَمُر بِالْمَنْطْقَة وَمَوقِف مِصْر، الآن صِرَاع قُوَى إقْلِيْمَيّة وَتغْيِيْر مَوَاقِع.

تدْخل الآن... إخْلاَص ... مُمَرِّضَة حَقّا، وَجَمِيْلَة كَذَلِك.

- الْسَّاعَة الْحَادِيَة عَشْرَة... هَل حَضَر الْمُتَبَرّعُون بِالْدِّم؟
- نَعَم ... وَلَكِن لِمَاذَا ثَلاَث وَحَدَات مِن الْدَّم؟ هَل الْمَعْرَكَة خَطِيْرَة إِلَى هَذَا الْحَد وَتَسْتَدْعي كُل هَذِه الْدِّماء ... عَلِمْت فِيْمَا بَعْد أن الْعَمَلِيَّة لَم تَسْتَدَع إعَطَّائِي وَحَدَات من الْدَّم.

وَدَعَت مَجْمُوعَة الْمُتَبَرّعين... أحْمَد ... خَالِد... وَنَوَّاف ... وَعَدْت إِلَى الْسَّرِيْر رُبَّمَا لأَعَيْش إلّى صَبَاح يَوْم جَدِيْد!

لا شي يدوم لي

أصحو على ألم وأغفو بواسطة الإبرة الرائعة.

ساعات النوم أو اللاوعي طويلة وأنا سعيد لأني بدأت أفيق من الموت.

أركض في ساحات الإغفاء مسكونًا بالفرح الذي أشاعه الطبيب البارع" نعيم فرح" والطبيب الإنسان الدكتور أحمد السامرائي، أنفث خوفي بعيدا...!

صراخ... وأنا أتذكر آخر الكلمات من رفيقة الدرب... ما زال على هذه الأرض من يستحقون أن تعود لأجلهم، أصرخ بعد أن صمت مجبرًا ليومين أو يزيد " سأبقى مسكونًا بالصراخ لأنني ولدت في العراء على شفير هاوية الواد وحبل نجاتي مقطوع، وكلما سكت قلمي عن الأنين، التهب جسدي وارتج من فرقعة السياط على لحمه العاري"

ريتا ... الممرضة تدخل الغرفة التي أسجن فيها بإرادتي غرفة 307، وريتا ممرضة جميلة إلى حد بعيد، ودقيقة في عملها، تشعر وهي تعطيك الإبرة أنها تدخل إلى عالمك الفرح وتردد بصوتها الرقيق:" الآن أستطيع أن أحصي جراح روحك وآمالك وخيبتك وفضائلك بعد أن نسيت أصابعي عدد مسام جلدك" وتنهي الألم المفرح بكلمة... سلامتك ريتا... دعيني أقول لك هذه الكلمات قبل أن أصحو فقد وعدت حبيبتي تلك بكل ساعات الصحو أيام الصحة والعافية، دعيني أصهل فيك يا أيتها القادمة من خلف الأفق: هذه يدي ممدودة لجميع خيولك فاصهلي فيها هذه جروحي تثور كلما غادرتي المكان.

ريتا تغادر المكان لكنها لا تفهم صمتي، كنت قلت لها عندما جاءت تسجل حرارتي.

سجلي عندك: دمي يغلي، قلبي ثائر، اكتبي ما شئت أربعين أو يزيد، لا فرق ما دامت كل الجروح العربية مفتوحة، وكل الأرض العربية مسلوبة.

صمت، العيون معلقة، في السماء السابعة الذاكرة تغادر المكان، غسان يركض ويصرخ: بابا تمر الأيام ويصبح الصمت هو التعبير الوحيد الممكن عن الصدق

يا ولدي: جرح، فرح، ألم، غصة، والصحب ما حضروا يا رب ساعدني:" أن أحشو مسدسي بالدمع، وأملأ وطني بالصراخ إذا لم

تعطني جناحًا وعاصفة لأمضي وعكازا من السنونو لأعود، حتى الأغصان العالية ترتجف عندما أنظر إليها وأبكي".

يحدث هذا غالبا

يسبق حمدان كعادته موظف البريد، فهو ينتظر رسالة مهمة... ويتحمل أحمد موظف البريد الذي يحدثه عن مشواره الطويل في خدمة الناس ليعيد عليه قصته في عدم الإنجاب، ويشرح له عن مراجعته المتكررة للأطباء والمبالغ الهائلة التي دفعها، وهدفه في هذه الحياة طفل، ليس له مواصفات فليس مهما أن تكون عيناه خضراوان كعيون جارتنا (صدقية) ولا أن يكون طويلا مثل جارنا زكي، ولا يعنيه أن يكون اسمه أي اسم، ولكنه لو رزق فسيسميه أمجدا، وما زال أحمد موظف البريد الذي ينظر من خلف نظارته

الطبية منذ عشرين عاما يردد نفس الكلمات لحمدان الشاب الذي ينتظر بفارغ الصبر رسالة من حبيبته البعيدة التي لم يشاهدها قط، ابتسم حمدان رغم قهره وسأل أحمد هل وصلتني رسالة هذا اليوم ؟!

-أحمد: نعم، لكن لن أعطيك الرسالة حتى تكتب لي رسالة إلى جارنا المعلم المعار للسعودية ليحضر لي دواء من هناك...

-حمدان: أعطني رسالتي وسوف أكتب لك عشرين رسالة...

فرح أحمد، وأعطاه الرسالة وخرج مسرعا وأحمد يصيح عليه: أكتب لي فربما يكون هذا، سار حمدان ودخل غرفته وفض الرسالة والتي كان مكتوبا عليها سطر واحد: انتظرك في الثلاثين من هذا الشهر أمام بوابة كلية العلوم، جامعة اليرموك، رقص حمدان فرحا، وسمعته أخته وأخذت تصرخ: أمي حمدان وجد وظيفة وزغردت الأم وبدأ الجميع يرقصون وحمدان يرقص معهم، فقد حصل من حبيبته على موعد للقاء.

تذكر حمدان أنه متزوج وعليه أن يقنع زوجته بأن ديوان الخدمة المدنية هو الذي استدعاه في ذلك اليوم، ثم اكتشف أن تلك الحيلة لن تمر على زوجته التي آمنت إيمانا قاطعا بأنه لن يتوظف مهما كانت الأسباب، وتذكر حمدان أن له صديقا اسمه أيمن بارع في اختلاق الحيل والألاعيب، فذهب إليه قائلاً: صديقي العزيز،

أحضرت لك عصيرا تحبه وبعضا من الصحف، لأنك مثقف وعلي أن أحضر لصديقي ما أستطيع.

أيمن: شكرا ماذا تريد مني؟ أعرفك، لا تحضر هذه الأشياء إلا إذا كنت بحاجة لمشورة أو رأي.

حمدان: ليس دائما، لكني بحاجة إلى أن أقنع زوجتي بعذر لمغادرة البيت يوم الثلاثين من هذا الشهر.

أيمن: ولماذا؟ هل هي جميلة؟ يا رجل زوجتك جيدة ولا تستحق منك أن تخونها.

حمدان: بدأت قلة الحياء.

أيمن: لا عليك سأتصل بك هذا المساء فلا ترفع سماعة الهاتف، ودع زوجتك ترد على الهاتف، وأنا أتعهد لك بهذا الأمر.

حمدان: ماذا ستقول لها؟

أيمن: سر المهنة.

حمدان: دير بالك، لا تضيعنا ! ورن جرس الهاتف ذلك المساء فردت زوجة حمدان على الهاتف!

•ألو... - نعم..؟

• بيت حمدان؟ - نعم . أي خدمة؟

•إحنا السفارة الأمريكية لدينا طلب للعمل باسم حمدان أبو الأذان... يرجى مراجعتنا في الثلاثين من هذا الشهر...

- الزوجة حتى أنتم الأمريكان صار شباط عندكم 30 يوما.؟.. الله لا يعوض الزمن الذي صار فيه شباط ثلاثين. يوما... دنيا آخر وقت...!!

حكايا عبد ربه

صديقه الذي جاب العالم وعاش أغرب قصة حب، تزوج زوجةً ثانية، ليست أجمل من زوجته الأولى ولا أكثر مالا ولا حسبا، لكنه وبحكم عمله وقضاء وقت طويل مع رفيقة العمل تزوجها...

خمسة أطفال وبنت واحدة، وعشرون عاما لم تكن كافية لحياة مستقرة...

زوجته الأولى كان يناديها ياسمينة القلب..

ما أشد ظلم الرجال!... يأكلون اللحم ويرمون العظم...

وقيل أن ياسمينة القلب... اكتفت بظلم أبنائها وغضب زوجها...
إلا أنها ما تزال تشكو حالها إلى الله منذ ثلاثين سنة...
* تذكر عبد ربه صندوق البريد رقم 822 الذي منحه مفتاحه صديقه منعم لأنه أصبح غير قادر على دفع خمسة دنانير اشتراكه السنوي...
ذهب عبد ربه إلى صندوق البريد، فتحه، تسع رسائل كل ثلاث بلون.
- البني: رسالة من ضريبة الدخل... لدفع مستحقات ضريبية عن الأعوام العشرة السابقة، والثانية: من الجامعة لدفع أقساط ابنه الأكبر عن عام 2000 والثالثة: من قيادة الجيش لدفع مستحقات دراسية أثناء الخدمة...
رسائل ذات إطار أحمر وأزرق الأولى من انتصار...
"لم أكن أدرك أنني سوف أتعلق بك... ."
أدوس كل مساء على مشاعري
أجمع من عيوني بحر دموع
وأدعي أنني مصابة برمد ربيعي
وما زلنا في فصل الخريف...
ماذا أفعل؟ لمَ فعلت بي كل هذا؟
غدا أتزوج رجلاً غيرك...
" لتذهب إلى الجحيم"
الثانية من سناء...

"أدرك تماما أنك تحب زوجتك وأبناءك ولن تتخلى عنهم لنزوة عابرة...

لكن لن أدعك ترتاح، سوف أصل إليهم وأحدثهم عن علاقتك بي...

وأنا سوف أشعل ناراً لن تسكن أبداً، حتى رمادها سيبقى جمرا يحرق كل فرح لك...

أقسم أنني لا أعي ما أقول...

لكن سوف أخرب بيتك...

الثالثة...

لك أن تعذرني...

رائحة القهوة ما زالت في حجرات رأسي كأنها الآن... .

لم أعد قادرة على نسيان اللحظات الجميلة التي أمضيناها معا في العمل التطوعي...

قلبك الكبير، محبتك للأطفال، عطاؤك الدائم، ابتسامتك، حلمك غضبك...

أشياء لا تنسى...

لا عليك، سأكتفي بأن أراك كلما هبت نسائم الشوق وغلبني الحنين...

غالبا ما تصل الرسائل متأخرة لم أقصد أن أستغل المشاكل التي تعاني منها الآن...

سأكون عونا لك وأن كنت أدرك أني لن أكون الزوجة الثانية...

ارم سنارتك المتعبة في بحر صداقتي...
ولن أتخلى عنك...
غدا أغادر إلى السعودية ولن أعود هذا العام...
رن جرس رسائل الجوال
رسالة من امرأة اجتازت الخمسين... يا مجنون ماذا فعلت بنفسك وبمن ضحت معك عمرا...
ارجع إلى صوابك...
وعش حياتك مع أصدق امرأة عرفتها...
كفاك نزوات تمارسها، ما أقبحك وأنت تتخلى عنها.

حفـل تـوقـيـع

أعد المؤلف مجموعته القصصية لحفل التوقيع، واختار كما جرت العادة من يتحدثون عن مجموعته الجديدة التي اختار لها عنوانا جاذبا، وربما لا علاقة له بما كتب في المجموعة القصصية، وغلافا ملونا جاذبا زاهيا وبارز الحروف أو حروفة نافرة، وكتب حول حياته شهادة إبداعية ادعى فيها أنه مر بمنعطفات حادة كانت ستغير مجرى حياته ولكنه اختار الكتابة وترك الطب، كثير من الشهادات الإبداعية تؤكد عن ما نعجز عن تحقيقه في حياتنا وندعي غير ذلك، كثير من الكتاب يكتب أكثر من شهادة إبداعية فربما يضطر إلى تغييرها في حفل التوقيع !

حاولت زوجته أن تطلع على ما يكتب فربما تشاركه الرأي؛ لكنه رفض رفضا قاطعا وأشار إليها أنها لن ترافقه إلى حفل التوقيع؛ لأن غالبية الحضور من الرجال المنفتحين وغير الملتزمين بالحد الأدنى من الآداب العامة فهم يساريون في الغالب، وكثير من النساء اللواتي يحضرن الأمسيات الثقافية متحررات أيضا، غضبت زوجته من هذه التبريرات، وبصوت حاد وبدموع ملؤها الكراهية، إذًا أنت صديق الملحدين والمتحررات، وذكرته أنه عندما اختارها كانت غير ملتزمة، وأنها ما زالت تحتفظ في خزانتها بملابس قصيرة أهداها لها أثناء رحلة الحب وأيام الخطوبة؛ حتى يقنعها بأنه متحرر ومتقدم عن أبناء جيله، ألم تقل أن الملابس المحتشمة والطويلة وغطاء الرأس هذا الذي يخنقني ألزمتني به لأنك من عائلة محافظة؟ لا بل أتذكر أنك قلت لي أن أهلك قرويون لا يقرون الملابس القصيرة ويرفضون البنطال جملة وتفصيلا، ولأنني أحببتك وافقت على كل ذلك؟

ضرب الطاولة بيده، ليتك تفهمين تغيرات المجتمع، ثم لماذا كلما هممت بالخروج إلى ندوة ثقافية أو أمسية شعرية أو حتى مؤتمر تبدأين سلسة من الأسئلة؟ وجملة من التحذيرات أحفظها عن ظهر قلب، لماذا تستخدم هذا العطر للمجتمع الآخر؟ لماذا تلبس البدلة الزرقاء في الاحتفالات التي تتواجد بها نساء سافرات ؟

ولماذا تشتري لكل أمسية قميصا جديدا وربطة عنق وحذاء لامعا؟

نفسي أحضر معك أشوف الجميلات اللواتي يستحقن كل هذا رغم أنك تلبس في البيت دشداشا قصيرا ولا تضع عطرا ولا تبتسم في وجهي ووجوه أبنائك.

يا حبيتي بعد أن ينقضي حفل التوقيع نجلس سويا ونناقش كل ذلك أعدك أنني سأغير بعض تلك التصرفات.

أعدي فنجان قهوة واتركيني أكتب شهادتي الإبداعية وأنطلق إلى عمان فلم يتبق على الحفل سوى ساعات.

بعد أن أحضرت فنجان القهوة وهي ترتدي ملابسها، سوف أذهب إلى صديقتي التي تكرهها إنصاف، وسنذهب معا إلى الجم ألم أخبرك أنني سأشارك بدورة رياضة فقد ترهلت من الجلوس في البيت.

أطرق رأسه فقد اختارت وقتا لا يستطيع فيه الرفض وقررت في نفسها أن مقابل خروجه في أي وقت ستخرج وتشارك في فعاليات تمكين المرأة.

كما تريدين، اخرجي ولا تتأخري عن البيت والأولاد وواجباتهم المدرسية.

كما تريد لن أتأخر، أطرق رأسه وأعد أوراقه وملابسه سكب زجاجة العطر، وضع منديلا أحمر اللون، ولبس ربطة عنق حمراء، مسح حذاءه، تفقد سيارته ،عاد مسرعا إلى زوجته.. معك خمسين دينار فربما أحتاجها ؟

هذه آخر خمسين من الراتب ونحتاج إلى دفع فواتير الكهرباء والإنترنت.

قال بغضب:- أعطني بلا نكد، أعطته آخر خمسين دينار ومضى إلى غيه ونزواته (أي حفل توقيع الكتاب) والمطبعة تلاحقه بثمن ما طبع!

وصل السيارةَ... وجد رقيب السير قد وضع له مخالفة "اصطفاف السيارة بشكل يعيق السير" مزقها وألقاها جانبا. حدث نفسه لماذا لا أقرأ قصتين وكفى ؟ إذًا أي القصص أقرأ؟ غالبا ما يكون الحضور منشغلين بأحاديث جانبية ولن يلقون بالا لما سأقرأ.

ربما من مجموعة مترجمة عن الروسية؟ لا فأغلب الحضور شيوعيون ويعرفون الأدب الروسي أكثر مني، إذًا سأصطو على قصة من الأدب الإفريقي، لن أقرأ فأنا احتفظ في محفظتي الكتابية بقصة أقرؤها دائما عن حقوق المرأة والعنف ضد المرأة فكثير من الحاضرات سيصفقن بالضرورة.

وصل مكان الاحتفال بتوقيع مجموعته القصصية (ذاهب الى الجحيم).

ثلاثة من النقاد يعتلون المنصة وجميلة إلى جانبهم، الحضور على المقاعد: أهلا أستاذ حسن وصلت من إربد بهذه السرعة، أهلا!!

بعد الأمسية حجزت لك طاولة في مطعم راق على قمة شاهقة في بوليفارد العبدلي وسأدفع ثمن العشاء، ونعقد صفقة لغد أجمل.

عليك أن تتصل بزوجتك وتخبرها أن سيارتك قد تعطلت وعليك أن تنام عند صديقك أليس كذلك؟

نعم بكل تأكيد

تفضل الفضاء لك، وبين فينة وأخرى سأكون بالقرب منك، لم تقل لي هل أعجبتك رائحة عطري؟

ستكون ليلة مدهشة.

جميل صديقتي ما زلت أتحسس وجنتي فقد كانت قبلة حارة وسمرة طاغية.

ضغط عالٍ

جلس على فرشة اسفنجية سكنية اللون من الضغط العالي، وبدأ يقلب قنوات التلفزيون بعد أن تعب من تصفح هاتفه الخلوي، وشارك الكثير من الأغاني القديمة، كانت آخر أغنية استمع إليها لنجاة الصغيرة (أسهر وانشغل أنا)، تذكر أن الساعة الخامسة عصرا، أوقف مضخة الماء التي ترفع الماء إلى الخزان في الطابق الخامس، كان يعرف أن الطالبات في الطابق السادس يسرقن الماء من خزانه بعد أن قطعت سلطة المياه الماء عنهن.

حدثه أحدهم أن فاتورة الماء ستكون اعتبارًا من عام 2023 شهرية، تذكر أن فاتورة كهرباء إربد لهذا الشهر قد ارتفعت رغم أنه غيّر كل الإنارة في البيت إلى وحدات توفير الطاقة.

بائع لمبات الإنارة قال له: إذا اشتريت عشر وحدات إنارة ستكون مكفولة لمدة ثلاث سنوات.

عاد إلى البيت وتذكر أنه نسي السيارة في شارع الجامعة، هذا الشارع الذي سُجل بموسوعة جينس كأهم شارع في عدد مقاهي الإنترنت عالميًا، والآن كثير من المحال تغلق أبوابها؛ لأن أصحابها غير قادرين على دفع أجور المخازن المرتفعة الأجر؛ قال بعضهم أنهم غير قادرين على دفع أجور العاملين لديهم، والبعض قال أن حجم أرباح المحلات قد تراجعت، والبعض قام برهن محالهم لإرتفاع أسعار القارمات من البلدية، عمدة المدينة يشجع على القضاء على العنوسة، ويفتح أبواب تعدد الزوجات من خلال زواجه الجديد، ويقال أن هناك توجها بأن يقتدي به كل من انتخبوه من الرجال، غالبًا ما تدافع الكاتبات عن حق المرأة ،بيت وسكن وافر، جماعة الرفق بالحيوان ترفض تسميم الكلاب الضالة رغم أنها تنهش الأطفال، الجمعية ذاتها تتكفل بتكلفة دواء السعار لكل المصابين، وتؤكد سلامة الكلاب الضالة.

تحدث مسؤول رفيع أن الجرائم التي ترتكب في أوائل الشتاء لا علاقة لها بعدم هطول الأمطار، مصادر الدفاع المدني تؤكد هزيمتها لفصل الشتاء بعد إعلان الراصد الجوي عن حالة عدم استقرار جوي في المنخفض الأول ، وحذر من تشكل السيول في المناطق المنخفضة.

جمعية حماية المستهلك تؤكد توجه كثير من المواطنين إلى التدفئة بالغاز بعد ارتفاع أسعار المحروقات الكاز والسولار، البائع في محطة المحروقات أخبر أن كثيرا من العائلات تشتري مادة الكاز بما قيمته بثلاثة دنانير في جركن " كلن" عشرين لتر، وطلب منه العديد أن تغير المحطة لون الكاز إلى لون أكثر وضوحًا، على غفلة من الذين يذهبون إلى محطات كوي الملابس لاحظوا ارتفاع أسعار الغسيل والكوي إلى الضعف بسبب الحرب الأوكرانية ،خبر عاجل على شاشة الجزيرة يؤكد أن أوكرانيا قد احتلت من روسيا كثيرًا من المناطق التي ضمتها روسيا.

تعتيم إعلامي على ما يحدث في جنوب البلاد، مصدر مسؤول، خلايا نائمة بدأت تدخل وتعمل على إثارة العنف في الجزء الجنوبي من البلاد.

البلاد وأهلها يحتفلون برأس السنة الميلادية، غالبية المحتفلين برأس السنة الميلادية من الأخوان المسلمين، بعد أن أعلنت الكنيسة أن الاحتفالات تقتصر على الصلوات وإضاءة شجرة الميلاد.

أزمة مرور في إربد وفي عمان كما أعلنت إذاعة الأمن العام عن مناطق الاكتظاظ في شوارع عمان خلال الأيام الماضية للتسوق وشراء مستلزمات الاحتفال بالسنة الميلادية.

أعلن مول كبير في إربد بأن رأس الخروف المنظف بثلاثة دنانير وأن الكيلو الواحد من الديك الرومي بسبعة دنانير، وأن سبب ارتفاع أسعار الديك الرومي هو إضراب سائقي الشاحنات من العقبة إلى عمان، مصدر رسمي هناك اجتماعات متعددة للوصول إلى حل، وربما يكون الحل إنشاء سكة حديد حكومية والاستغناء عن أسطول النقل البري.

ارتفاع أسعار البيض رغم انخفاض أسعار الدجاج، حتى أن الدجاج البياض يباع بدينار واحد للدجاجة الواحدة، ويزن هذا النوع من الدجاج أكثر من سبعة كغم.

بائع الخضار يؤكد أن انخفاض أسعار الخضار والفواكه، أربعة كيلو من الباذنجان بدينار، التفاح بخمسة وخمسين قرشًا، الموز من أكثر الأصناف استقرارا في السوق، وذكر المصدر نفسه أن كميات من المنجا المصرية تدخل الأسواق عن طريق جسر الملك حسين في الأغوار الوسطى.

عدل جلسته، أشعل سيجارة، همس لزوجته بصوت منخفض: هل لدينا قهوة.؟

قالت بصوت أكثر انخفاضًا:- لدينا سكر وشاي هل أعمل لك فنجانًا ؟

جرى كل ذلك وزوجته تغير قناة الجزيرة إلى قناة MBC 1 على مسلسل خليجي عن الميراث والنزاع بين الأبناء والبنات.

الابن الأكبر دائمًا يستولي على كثير من الميراث.
قبل سنوات وأثناء عملي في المكتبة أخبرتني الفتاة التي تعمل في الفترة الصباحية أن صديقي محي قد زوّر وصية ليستولي على حصص إخوته من زوجة أبيه. لم يعد إلى قناة الجزيرة التي تبث برنامجا وثائقيا بعنوان المسافة، يتجول به الإعلامي في بلدان شتى، تذكر أنه وعد زوجته قبل خمسة عشر عامًا بأن يكون شهر العسل في تايلاند، أخبرها بأنها تستطيع أن تشاهد على شاشة التلفزيون كل الأماكن التي كان ينوي أن يأخذها إليها.
وأخبرها أن كأس العالم لكرة القدم قد كلفت قطر أكثر من 222 مليار، عائداتِ قطر من البطولة أكثر من ستين مليار دولار.
لم يتغير طعم الشاي والبسكويت، لكن قهوة العميد كما يشاع أفضل، حتى أن كثيرا من المقاهي تضع القهوة في كاسات ورقية تحمل اسم قهوة العميد، وفنجان القهوة في المقاهي الراقية يصل إلى أربعة دنانير ، وليس لها علاقة حتى برتبة شاويش أو وكيل أول، دائمًا ما كان يشتري الكنافة ذات اللون المميز من محلات العفوري القريب من دوار وصفي التل.

صورة طبق الأصل

كعادته كل صباح ومنذ عام 1979 وهو مولع بقراءة الصحف ما زال يقرأ العناوين نفسها، رئيس الوزراء يدعو الشباب للمشاركة الفعالة في الانتخابات، أب يقتل ابنته، إسرائيل تدمر مناطق واسعة من غزة.

حُمى كأس العالم تجتاح الوطن العربي، تراجع في أسعار الرحلات السياحية، ارتفاع في أسعار المشتقات النفطية واللحوم البلدية، أين تسهر هذا المساء؟

قمة عربية في الأول من نيسان، الأمم المتحدة تدعو إسرائيل إلى ضبط النفس، هزة أرضية تضرب إيران، جوائز البنوك تخضع لضريبة الدخل، تعديل قانون الانتخابات البلدية والبرلمانية.

حرية الصحافة خط أحمر، حوادث السير تحصد أرواح الأردنيين، الجامعة العربية تدين الممارسات الإيرانية والإسرائيلية، نسبة البطالة تقترب من 2%.

الأردن ممر وليس مقراً للمخدرات، تغيرات تطال الإعلام الرسمي، لا زيادة ولا ضرائب جديدة.

بحث أوجه التعاون بين القطاعين العام والخاص، في تصريح خاص لسواليف، أعرب معارض سياسي عن نيته بتأدية عمرة قريبا كفارة عن سنوات من مناكفة الحكومات، وفتح صفحة جديدة.

خطط خمسية للتنمية تركز على تنمية المحافظات والتوزيع العادل لمكاسب التنمية، لم تتغير الصحف بعناوينها، دوما تجلد ذاتنا بالرغم من تغير كل شيء، ألوان الصحف، أحجامها، عدد صفحاتها، مجالس إداراتها، أسعار الإعلانات.

غريب هو حالنا... منذ عام 1979 ولليوم ونحن نكرر العناوين نفسها لكن بصيغ جديدة وشفافية أكبر... ربما!

لـقـاء

كنا نلتقي في الصباح على شرفة ابتسامة وفنجان قهوة، كانت تستمع إلى فيروز وأنا كذلك، فلا يليق بمثقف أن لا يحب فيروز هكذا يقول بعض المثقفين.

وكنا نلتقي في الثالثة عصرا أو حصرا على وجبة دسمة من الحوار بين العام والخاص.

وكنا لا نفترق في المساء إلا بعد مراجعة حصاد اليوم وأحاديث الثقافة.

كنا ندخن معا همومنا ونحرقها ونتسابق لأقول لها " اختلفنا مين يحب الثاني أكثر".....

كان صوتها الناعس بقول لي أحلاما سعيدة وتصبح على فرح، وعندما تنام أصلي الفجر وأصحو.

مـو عـد

أقف على أول الشارع المؤدي الى بيتنا، هذا المساء سار بي الشارع و لم يوصلني إلى البيت، جارتي ذات الثلاثين ربيعا لم تعرفني، بائع القهوة الذي أشتري منه كل صباح دلق القهوة على بدلتي الجديدة وابتسم: القهوة خير، تخلفت عن موعد مع امرأة في التاسعة والعشرين.

وصلتني للتو رسالة منها، لاعليك أن تنتظر عاما آخر حتى نلتقي فأكون في الثلاثين لن أسامحك بزجاجة العطر ولابباقة الورد ولا ببطاقة الهاتف.

سيكون اللقاء في العام القادم أكثر كلفة، تحمل تأخرك.

رقيب السير حرر مخالفة استخدام هاتف خلوي أثناء القيادة، جاري صاحب الدُّكان أغلق مبكرا، بائع القهوة هو الآخر أغلق المكان.

الصديقة ابنة التاسعة والعشرين لم تعد لبيت أهلها، وأنا لم يوصلني الشارع إلى البيت كما كان يوصلني دائما.

المؤلف في سطور

***محمد علي الصمادي:** ولد عام 1961 في عنجرة الواقعة في محافظة عجلون في المملكة الأردنية الهاشمية، وأنهى الثانوية العامة فيها عام 1979 79

- ناشط في مجالات إبداعية متعددة منها كتابة الخاطرة والقصة والشعر، إضافة إلى التصوير الضوئي (الفوتوغرافي). عمل في جامعة اليرموك منذ عام 1993 حتى 2021.

- أحد مؤسسي ملتقى ألوان للثقافة عام 1993 ورئيسه لأكثر من دورة. وأمين سر بيت زياد البوريني الثقافي، إضافة إلى كونه مقرر لجنة تنسيق العمل الثقافي - مديرية ثقافة عجلون، ملتقى إربد الثقافي، النعيمة الثقافي. أقام عددًا . من المعارض للتصوير الفوتوغرافي في الجامعات والمراكز الشبابية والمنتديات الثقافية، وفي بيت عرار الثقافي ومركز إربد الثقافي. . كرم من قبل وزير الشباب بالميدالية الفضية لمخيم الإبداع الثقافي كرئيس لملتقى ألوان الثقافي.

* **العضويات**

-عضو رابطة الكتاب الأردنيين.

-عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

-عضو اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا.

*<u>النشاطات الإعلامية والهيئات الثقافية</u>

-رئيس تحرير مجلة ألوان الورقية.

-مالك ورئيس تحرير موقع ألوان للثقافة والرئيس التنفيذي له

-رئيس تحرير موقع البصمة الإلكتروني.

-رئيس تحرير موقع عجلون الإخباري

- رئيس تحرير موقع مجتمع نت

<u>الإصدارات:</u>

-صفات المرأة التي يحب (١٩٨٨)

- الحب للجميع والدعوة عامة، بانوراما (1993). .

شذرات وقطوف نثر (1994)

الأرض الأولى، بانوراما (1996).

- يوميات ميت على هامش الحياة، نثر (2013). –

حنين وسبع أخريات قصص (2014).

هو الذي يرى 202

الفهرس

(تقديم) 5
جرعتان والبقية تفاصيل 11
نزوة عطر 19
المدير 25
فرح 36
حلم 42
دقات 48
على سرير الشفاء 54
رحلة إلى الحياة 60
يوميات محتضر 69
بين موت وموت 77
يحدث هذا غالبا 87
حكايا عبد ربه 93
حفل توقيع 99
ضغط عالٍ 105
صورة طبق الأصل 113
لقاء 117
موعد 121
المؤلف في سطور 122
الفهرس 124

ملحق

بأقلامهم

حول المجموعة

بطاقة تعريفية

بكتاب «جُرعتان والبقيّة تفاصيل»

للقاصّ "محمد علي الصمادي". الأردنّ

بقلم الرّوائيّ- محمد فتحي المقداد

صدر حديثًا كتاب **"جرعتان والبقية تفاصيل"** للقاصّ **"محمد علي الصمادي"**، وهو عبارة عن مجموعة للقصّة القصيرة، التي احتوت على مجموعة من النّصوص المُتراوحة بين الطُّول والقِصَر.

وعنوان النصّ الأوّل اتّخذت منه المجموعة بأكملها عنوانًا لها، وبالتوقّف مع هذه الجُملة الاسميّة ذات الكلمات الثلاث يتوسّطها حرف الواو، جاءت كلمة **"جرعتان"** كمبتدأ تلاها حرف استئناف، ليستأنف عليها جملة أخرى مرتبطة بها **"والبقية تفاصيل"**؛ فالجُملتان تُشكّلان مدلولًا موضوعيًّا، ومفتاحًا للدّخول إلى رحابه؛ لتنفتح شهيّة التأويلات والاحتمالات المعقولة وغير المعقولة.

إشكاليّة العنوان مثيرة للوهلة الأولى؛ فعندما يطمئنّ القارئ إلى أنّه فهم المقصود والمدلول؛ ليُفاجَأ بكتلة ضخمة من

فسيفساء مُنتمية لتفاصيل متنوّعة، وردت من شتّى شؤون الواقع، بطريقة مباشرة، تلك التقنية الممزوجة مع الرمزيّة الدلاليّة على مشهديّات خفيّة تُفهَم من خلال السّرد القصصيّ، وقد استخدمها القاصّ **"محمد الصمادي"**، لتسطير رُؤاه وملاحظاته النّاقدة.

لوحات التشكيل القصصي هي بناء لا تختلف مثلما هي عند الفنانين التشكيليين، للتقريب والتشبيه مع ملاحظة اختلاف الحالتين. هذا يكتب بالقلم وذاك يرسم بريشته ألوانًا مختلفة تتوافق وتتنافر، لكنها في النهاية تكوينًا ذا محتوى، والنص القصصي عند **"محمد الصمادي"** عبارة عن التقاطات قافزة فوق الزمان والمكان، حتى يمكن تعميم ذلك على جميع نصوص المجموعة، لتكون سِمَة وطريقة اتّخذها الكاتب أسلوبًا له.

هذا القفز المُتوثّب بفرط حركته داخل نصوص المجموعة، مرهق للقارئ. مُوهِنٌ لأنفاسه. ربما حالة القلق الإبداعي عند الكاتب، تبدو كتابته حاملة لهمومه، قلقة بأفكاره، ومرّة خائفة، وضاحكة، وباكية، ولامبالية، وفوضويّة، ومستقيمة، ومُجدّفة عكس التيّار. هذه المعاني المُستقاة من مطالعة نصوص المجموعة، جاءت العبارة الثانية من العنوان "البقية تفاصيل"، وفي التفاصيل يكمن الهدف، والدرس، والرسالة، وذلك من انعكاسات دواخل نفس "محمد الصمادي" على مفرداته وجمله ونصوصه، ليغطي صورة

كاملة واضحة يمعالمها الشخصية والنفسية والروحية للكاتب.

وفي اختيار العبارة التي جاءت على الغلاف الخلفي، يتضح شيئا من التماعات المعاني السابقة: **"«نَعَمْ وَكَيْف أكُون سَلِيْمَا فِي عَالَمَ الْعَيْشَ فِيْهِ مَرَضٌ؟. لَدَي أَمْرَاض كَثِيرُة يَصْعُب عَلَيَّ حَصْرُهَا فَأَنَا مَرِيض بالخوف والأمل، مَرِيض بِالْمَحَبَّة، مريض بِالْقِرَاءَة وَالْكِتَابَة، مَرِيض بِالْفَقْرِ، مَرِيْضِ بِالزَّائِدَةَ الدُّوَدِيَّة فِي زَمَن تَنْخَر فِيْهِ الْذِيْدَانِ كُل الْعَلاقات الإنسَانَية»**. هذه العبارة بمثابة عتبة المجموعة القصصية بأكملها، ولتكتمل رسالة الكاتب إلى قارئه.

وفي تقديمه للكتاب ذكر الأستاذ **"أحمد شطناوي"** قريبًا من المعاني السابقة:« **جرعتان والبقية تفاصيل هذه المجموعة القصصية التي عنونها الصمادي بعنوان أغفل فيه كل التفاصيل ولم يُقِم لها وزنًا، لكن المبحر بين نصوص هذه المجموعة القصصية حتما سيكتشف أنه قد أوغل بالتفاصيل ولكن بمشهد قصصي لا يتبع لمنظومة متتالية الأحداث، إذ أنه جعل التفاصيل هامشًا ومَتْنًا بنفس الوقت، فتراه يضع تلك التفاصيل في غير المكان الذي يجب أن تذكر فيه، وهذا الأسلوب الما بعد حداثي الذي طرقه الصّمادي في سرده، ورد بطريقة عبثيّة منتظمة».**

لمن لا يعرف "محمد الصمادي"، فقد انعكست هوايته بالتصوير الضوئي على طريقة رؤيته لمحيطه يلتقط جزئياته ودقائق الأشياء بعين المُصور، لينقل الحدث بعين كاتب وأديب. امتزاج برؤيتين متوافقتين أنتجتا لونًا قصصيًا ساحرًا مُحرضًا للقارئ على التتبّع والملاحظة والتدقيق، وتجبر القارئ للسير على نهج الكاتب الذي نجح في جرّ القارئ معه إلى نفس المركب، ليتشاركا الغرق والاستغراق.

ستة عشر نصًا شكلت محتويات المجموعة، الواقع ومشكلاته، المرأة والرجل، الحياة والحب، والكره والمودّة، والظلم والعدالة، الممكن وغير الممكن، الجمال والقبح، الفرح والحزن. تآلفت هذه الخطوط العامة لتشكل منظومة قصصية تَعنونَت: ب"جرعتان والبقية تفاصيل" وفي التفاصيل، لتنفتح شهية الكلام والتأويل.

إربد. الأردن

14/ 1/ 2023

التغريب في مجموعة القاص محمد صمادي :
(جرعتان والبقية تفاصيل)
قراءة تتراوح بين العمق والسطحية
بقلم الروائية فاطمة يوسف عبد الرحيم

عندما قرأت للقاص المبدع محمد الصمادي مجموعته القصصية، التي لم تكن بمعنى القصة والحكاية التي عهدناها، بل هي مشهديات متداخلة برؤى خفية، خلتها أحجية أو غابة متشابكة الأغصان، وعثرت فيها على كتز سردي، إذ ارتأى القاص في قصصه أسلوب الكتابة المخاتلة والتي لا تقرر حقائق، بل تطرح احتمالات وهو فن مخاتل صعب، قليل من يتقنه.. وكانت بنيتها انتقائية شاملة لبعض مقومات القص في المجموعة كلها، اهتم بعرض الحدث بمشهدية حية ناطقة موحية، وأشرك المتلقي في صناعة النص حسب نظرية "مدرسة ما بعد حداثية"، إذ لا يتوقف كثيرا عند لحظة تفجر أو ذروة، لكنه في كل نصوصه يخالف عمدا المدرسة التقليدية

(مقدمة/ ذروة/خاتمة) فتحملك الصفحات نحو رحلة داخلية مجنونة تبتكر فيك هروبًا يدفعك للتفكير بكل شيء.

* لا أنكر أن قراءة المجموعة أجهدتني لتكوين رؤى محددة حولها لكني حاولت استخراج بعض دررها، فهذه المجموعة القصصية مكونة من(١٢٣ صفحة) لكنها تحتاج إلى ألف صفحة كنص قرائي مواز لإحداثيات فكر القاص، لأن في كل عبارة وقفة تأملية، أضف إلى ذلك فن التّورية الذي حفلت به الثنايا، حيث ورد في قمّة الرّوعة في مواطن كثيرة ل غايات متعددة، ليقدم لنا صورا إيحائية من الخراب الاجتماعي برمزية متواشجة في النص الحداثي.

*بداية يواجهنا العنوان عتبة ولوج النص، وما علاقة العنوان بالنص القصصي؟ وعندما نتمعن في مدلوله، تكون الأجوبة في تمفصلات النص والتي تخبرنا عن مدلوله ومعناه...، هل اختصر الحدث، هل حقق متعة ما إلى المتلقي؟ لم تكن عناوين الصمادي اعتباطية لتوشية النصوص، بل عناوين اتسمت بالغرائبية، مثلا (جرعتان والبقية تفاصيل/نزوة عطر/دقات/يوميات محتضر/يحدث هذا غالبا/ضغط عال/ بين موت وموت) ؟ لكننا نستشف من كتاباته، رغبته في ترسيخ نظرية نجدها في الأدب المسرحي، تنبني على ما يسمى بالأثر التغريبي، والذي يهدف من ورائه إلى تحرير الكتابة القصصية من آليات

التقليدية في الكتابة الكلاسيكية، وجعل المتلقي يستعمل إمكاناته الذهنية في التلقي، ليكون متفاعلا مع النص المقروء، ودائما يترك المتلقي من أثر التغريب حاضر البديهة، متيقظ الذهن، واعيا بحضوره في عالم القصة، وبالتأثيرات التي يمارسها النص.

* لقد ذكر الشطناوي الشاعر الذي كتب مقدمة المجموعة أن المشهدية بالكلمة تغلبت على المشهدية الفوتوغرافية والتشظي في أفكاره محورا قصصيا، حيث ترك للمتلقي حرية البحث في التفاصيل التي هي بحد ذاتها مشاهد حياتية مضطربة ومتشظية يصعب أحيانا ربطها ببعض لكن يمكن البحث في ترابطها.

* تفتقد نصوصه إلى ما يسمى/لحظة الإشعاع/ أو لحظة التنوير/ وهي النقطة التي تنطلق منها قراءات القصة القصيرة وتأويلاتها وتشظياتها، لأنه اعتمد أسلوب "ما بعد الحداثية" في كتابته، من خلال ازدحامها بالأحاسيس، والتناقضات والفوضى في التنقل السردي، وغياب التسلسل السردي بكل أشكاله وأنماطه(ما بين البداية والعقدة والنهاية)، وذلك بهدف جر القارئ إلى هذا المعترك من الهواجس الإنسانية التي لا يكاد ينفك منها أي إنسان.

*اللغة بسيطة ومتينة بعيدة عن الشاعرية.

* طغيان الحدث بتنقلاته وقفزاته غير المترابطة لكنها منسجمة في نطاق الفوضى التي أرادها القاص في فضاء القص، مما أضعف اهتمام القاص بالزمكانية ضمن مجموعته القصصية، وهذا اختيار من الكاتب ولا يعد مثلبة.

* أحيانا قد يرفض القارئ العادي متابعة القراءة ويأخذ انطباع أن هذا القاص يعاني من أزمات نفسية ... لكن القارئ الناقد يرى أن هذا القاص لديه عمق في التفكير وتعدد في الرؤى ويمكننا استشراف منهج إصلاحي لمجتمع أصبح على شفير هاوية الانحلال والفساد.

وعبر تقاطع الفضاءات المؤطرة بمبدأ التقعير في مفردات المجموعة القصصية،...وتجلي التوازي والتقابل، وتوزع الحكي .. وتوالى السرد.. وقد تخلله الاسترجاع، والعرض، والتعليق.. والانتقاد.. وما يحمله من صور المعاناة، والعقاب، والتشديد والعذاب.

*ابتعد عن التقريرية والمباشرة ولكن المشهدية تصدرت معظم قصصه فهو ينتقل بانسيابية بين فكرة وأخرى والرابط بينهم خيط واه من الأفكار، وحالة نفسية متوترة.

*أثر التغريب واضح، يتحقق من خلال التنويع في المشاهد السردية، وفي الانتقال من مشهد إلى آخر.. باعتماد تقنية الاسترداد، والتوقيف، والتدخل... وبالتالي يصبح مسار

الحكي/السرد لولبيا.. ولا يسير في خطية مستقيمة... وهذا يخلق نوعا من تكسير خطية السرد، ويخلق نوعا من الانزياح في البناء السردي للقصة...وكأنها صدى لبعض مظاهر نظرية الشكلانيين الأدبية.. لأن المتلقي، وهو يواجه النص/يحس فيه بحركة الحياة العادية ... ويحس فيها بالأشياء....وهذا يذكرنا بنظرة شلوفسكي والشكلانيين، إلى الفن والإبداع عامة.

*هذه أول مرة أقرأ كتابة بهذا الأسلوب، لقد قدمت انطباعي عن المجموعة بشكل عام، الثيمة التي تربط القصص هي التخبط الذي يعيشه المواطن العربي في متاهات الصراعات السياسية وأثرها على حياة المواطن الاقتصادية والاجتماعية، وقد يطلق عليها "هي فوضى"، وسأتناول خصوصية كل قصة حسب أساليب الكتابة والذي لعب فيها على أوتار الحدث، محاولا تنويع أساليبه، ليجنب نفسه التكرارية، والرتابة، والنمطية.

*من يقرأ المجموعة يلاحظ أن الكاتب يسعى لتكوين حيرة القارئ الضمني، لأنه يترك فراغات سردية في النصوص بلا تفسير، ويواجه القارئ بأسلوب التلغيز، إيمانا منه بايجاد إشكالية التلقي.

* وردت تقنية كسر أفق التوقع كثيرا في النصوص وتعاملت مع جزئيات النصوص، إذ كلما قرأنا مشهد أو حدث نتوقع ذهنيا أن تكون حركة الحدث سواء الداخلية أو

الخارجية كالتالي... لكن القاص يكسر كل التوقعات ويطوح بنا في حدث آخر إو موقع آخر ليثير فينا لحظة الإدهاش، التي هي سر نجاح القص، وخلق لحظة اللا تطابق هذه تسمى عند "ياوس" بالمسافة الجمالية.

* وكأن الصمادي في إبداعه، يستلهم مفهوم أرسطو المتمثل في المحاكاة، حيث يحاكي الواقع ويتمثله، لأنه يهدف من ذلك إلى إنتاج التطهير، من حيث هو رد فعل...ووسيلة يتغياها كي يندمج القارئ في عملية تطهير من الانفعالات، والتمثلات، والتصورات والتخيل... وإعلان بناء المكتوب أو المسرود إلى مشاهد وصور ذهنية متخيلة.. وهذه الانفعالات تتنوع ما بين الشفقة، والخوف، والتعاطف.. والسخرية واللذة..

<u>* تلخيص لما تناولته كل قصة باختصار</u>

1- جرعتان والبقية تفاصيل: نص ابتدأ زمنه السردي آنيا وبحنكة استوقف المشهدية وأدار عين الكاميرا السردية في رتابة مقصودة متنقلا بين المستشفى وصالون الحلاقة وإصلاح عطل الكهرباء، إذ تنقل الكاتب بحركة لولبية من المكان العام إلى الخاص أي خزان الماء ومشكلة العوامة... وكأنها قفزات الكاتب من هم لآخر أعطت القصة حركة ونشاط داخلي، ليضفي عليها رتابة زمانية

وليغوص في أعماق النفس مع كل حدث يخدم ذاك التوجه، هي قفزات مشهدية يسردها الكاتب من أعماق الروح ليستعرض أناته بسرد متمكن بأسلوب سهل وبرمزية وتلميح راق، السرد هادىء لكنه صارخ بمعاناته وأزماته وهنا تكمن عبقرية القاص ليكتمل المقصود ويبلغ منتهاه.

*في النص تناص قرآني (ألوانها تسر الناظرين ...)

استخدامه الضدية في اللون (جواده الأبيض وسيارته السوداء) التشظي بين الممكن وغير الممكن، لكنه مقبول للجميع، مثلا التناقض واضح في اسم روايته "مصور أعمى".

* ما العلاقة بين قراءة الرواية وقص اللحية هل هو تفكيك لتكثيف محدد... رشة عطر فيها إحالة على تحليل الأحداث في رأسه وكأن العطر يفكك الأحداث اللامتناهية

*استخدم أسلوب التدوير بالنسبة لمطعوم الفايزر الذي ابتدأ به النص وأنهى به النص.

*أوجد فراغا سرديا في حكاية الأم المقتولة وقد قطع رأس الطفل لإنقاذ الأم تجعل المتلقي يفكر كيف حدث هذا، وكيف قدم مقتل الأم التي قتل الطفل لأجل إنقاذها وهنا كسر لأفق التوقع لدى القارئ الضمني الذي يجتهد الصمادي على تكوينه من خلال أحداثه الغامضة .

*وصول السارد إلى الستين لها دلالة زمنية إشكالية، تتسبب بقلق لديه هل ما كان يقوم به من أعمال سيقدر عليها بعد الستين مثلا إصلاح الكهرباء عند الجارة فيه إيحاءات ضمنية وعلاقته مع الجارة تبدو عادية في الظاهر، لكن تعطي قفزة نوعية للمتلقي ما العلاقة بينه وبين الجارة وفنحان القهوة السحري ...

*تعرض لضيق ذات اليد عند الموظفين في فك الخمسين دينارا

2- في "نزوة عطر"، كانت تداخلات الرؤى عند الصمادي، إذ نقلنا السارد الذي يتسم بالتشويش الكافكاوي العبثي، بعد أن نقلنا من تشويشات العالم الافتراضي الأزرق إلى ثقب الباب من العين السحرية والتخييل الصادم الذي جعل رؤياه من العين السحرية التي تطل على عالم الجيران تهيئ له تخيلات تتمازج مع لافتة الباب والجنية الغانية، (على بعد خفقة من قلب الباب) "انزياح بلاغي" وما بين وعلبة الثقاب والقداحة (بعد زمني وحضاري)

٣- المدير: الانتقالات بين المشاهد مدهشة، لعل القاص اختارها من أجل خلق فاعلية بين النصوص وبين المتلقي،

فضاء القرية بدأ من رائحة الخبز إلى خيوط الفجر إلى مشهد الفلاحين إلى مطعم أبو السعد كلها مفردات المشهد إلى صندوق الصحف.. وتبين لنا بعد قراءة نصوصه أنها سريالية متأزمة، مأخوذة من الواقع الرتيب، لكنها محتدمة بالرمزية العاتية، التي تقلقنا بحيثياتها الدلالية في نطاق الحدث الاجتماعي والسياسي، الأمكنة كان لها حسية متشابكة مع الشخصيات، نقل لنا سيطرة الزمكان النفسية على السارد العليم وطوح "حمدان" من حال إلى حال وتاهت تقلباته وقدراته على استحضار الواقع المشبوه، وإسقاط شرعيته بوضوح، وفي النهاية استخدم القاص آلية الحلم في صورة القطع الصادم وأيقظ حمدان من تحولاته الحياتية وأمانيه على صوت آذان الفجر.

٤- فرح: كان التبئير فيها على لسان السارد العليم الذي يحكي عن شخصية فرح المواطن الحزين أو الضجر وهذا الاسم غير مطابق لمزاج الشخصية التي تعتقد أن الأماكن المشتعلة في العالم العربي هي سبب اكتئابه، أو الأسباب الاقتصادية أو الأسباب الثقافية والاجتماعية أو المطر

5- حلم: لقد حول القاص عرض طلب عروس على الفيس إلى مناقصة تجارية، وتصوير شوارب جاد الله بمقود البسكليت (انزياح بلاغي) .. وما علاقة الضدية بين تنفيس البسكليت والنفخ في الوجه.. وهذا نوع من أنواع التشظي السلوكي في الفعل السرد، واستخدم فيها الحوار .

٦- دقات: استخدم أسلوب المقاطع والتنقل بينها في تغريب خطابي يربطها خيط واه، ومشهدية مذهلة.

٧- على سرير الشفاء: أخبرنا السارد العليم الذي يعلم كل شيء عن بطل قصته "عبد ربه" الذي كانت أحلامه أسطورية تائهة في المعاصرة وبين الإيمان والتقوى وفوضى النساء، ليبين لنا أن الإنسان المكون من الطين المدنس بالخطايا والروحانيات دائما هائم في جذوة الصراع.

٨- رحلة إلى الحياة: تحكي قصة رجل ينتقل إلى العالم البرزخي، وصف حاله في أوج مرضه وإرهاصاته بمن حوله ثم إحساسه المتناهي الدقة في حيثيات موته وجنازته، التبئير هنا السارد المشارك أو بأسلوب

المونولوج أو الخطاب المسرحي وفيه فلسفة الموت والحياة والتخييل المتناهي الدقة.

استخدم آلية الأصوات لانقطاعه عن الدنيا فالكل أصوات ولم يعودوا أشخاص لهم علاقة حميمية كما كانوا في الحياة.

٩- يوميات محتضر: سيزان بول هذا الرسّام الفرنسي، من المدرسة الانطباعية، والذي مارس التصوير في الهواء الطلق، ونقل أحاسيسه التصويرية، في الطبيعة الصامتة، في تراكيب جسمية وكتلية. وأنطقه السارد العليم ليجعل تبئيره صفرا ليقول ما يقول على لسانه واسترساله في الفعل، يوميات محتضر فيها فلسفة الموت والحياة واستخدام بعض التناص الأدبي"ما على الأرض يستحق الحياة" محمود درويش.

المجموعة اتبع أسلوب الضديات المستحيلة (لم يعد قادر على النوم أو على الاستيقاظ)

*وظف السارد المشارك في ضجيج إنصاته، لكنه لا يصغي إلا للأصوات الكثيرة التي تملؤه، وهو تائه بين تقلبات الذات وصرخات النفس بكل أحوالها، كما بينها علماء النفس، النفس اللوامة (الضمير)، النفس الأمارة بالسوء (الرغبة)، النفس المطمئنة (الروح)، الذات (القلب

أو البصيرة)، الأنا الكامنة (العقل أو الأمانة أو حرية الاختيار).

١٠- بين موت وموت: اتكأ القاص على المشهدية وهرطقات الحوار الذاتي الذي ثرثر كثيرا في المشفى مع الممرضة ريتا، وعرض معاناة المواطن من خلال أ. فضة دكتور السياسة والاقتصاد وقضية القدس والخلافات العربية ووو

11- يحدث هذا غالبا: حمدان مرة أخرى ورغبته في الإنجاب

12- حكايا عبد ربه: قصته مع أوراق البريد الملونة ويحكي عن صديقه الذي تزوج مرة ثانية .

13- التوقيع: استعدادات حفل التوقيع وكل ما حدث في هذا اليوم وخوف الزوجة على زوجها من الجميلات المثقفات.

14- ضغط عال حدث هذا الضغط من الممارسات غير القانونية والتي تحدث من فوضى الناس مع أنه يجلس على فرشة ضغط عال

15- صورة طبق الأصل: عدد أحداثا سياسية ولكل منها أثر على الواقع العربي.

16-17 لقاء وموعد: قصتان تجنسان في بوتقة قصة قصيرة جدا حركة الحدث فيها تشبه عبثية كافكا لعب على حركة الزمن منطلقا من الآن إلى المجهول، وهذا المكان الثابت يتحرك به، ويحكي قصة لقاء مع صديقة على فطور وصوت فيروز. أما الموعد تاه فيه الزمن أو الزمن المغيب.

* ملاحظة القصص تحتاج إلى قراءة موسعة، وعميقة لكن كان الهدف إعطاء نبذه عن كل واحدة.

تحياتي للأستاذ محمد صمادي على هذا الإبداع المتميز في الأدب الأردني والعربي.

جرعتان والبقية تفاصيل
برؤية الشاعر أحمد الخطيب

"لعل الخبرة التي اكتسبها القاص المصور محمد الصمادي من خلال التصوير ومراقبة الأحداث بعين المصور كانت مرآة خبرته القصصية التي بدأها ثمانينيات القرن الماضي"، بهذه الإطلالة التي كشف من خلالها الشاعر أحمد طناش شطناوي، عن التفاصيل التي لم يقم لها الصمادي وزنا في عنوانه، ولكن كما يستدرك شطناوي، أن الصمادي أوغل بالتفاصيل ولكن بمشهد قصصي لا يتبع لمنظومة متتالية الأحداث.

المجموعة القصصية الصادرة حديثا في 126 صفحة من القطع الوسط، يلملم الصمادي في سردها التصويري كل ما أغفلته الكاميرا، ليقتنص منها تلك البنى السردية التي لا تظهر على شاشة الكاميرا، متخذًا من قدرته على الحركة الدائرية التي تحتاجها الكاميرا في فضاء الالتقاط نازعًا لغويا يعيد صناعتها من جديد.

المجموعة هي شاهد ساخر، أو لنقل شاهد لم ير شيئًا في سكون الدائرة، ولكنه التقط بحدوس الكاتب كل مالاتها

التي أفرغتها رغبة الكشف عن المساحات الشاسعة الملونة.

ولأن التفاصيل كامنة في الرؤى، فقد أسند القاص الصمادي للحكاية دورًا في تتبع الأحداث، فهو معايش من الدرجة الأولى لحركة المجتمع، وراء عين شاردة لكل جناح يرفرف على سارية الحياة، وسليل أوعية نابضة بالوصول والاستدلال على خصوصية الأشياء.

المجموعة الجديدة تضم في تفاصيلها التي أغفلها العنوان، أو كتمها، أو أفرد عليها ظلال وقت، جرعتان والبقية تفاصيل، نزوة عطر، المدير، فرح، حلم، على سرير الشفاء، رحلة إلى الحياة، يوميات محتضر، بين موت وموت، يحدث هذا غالبا، حكاية عبد ربه، حفل توقيع، ضغط عال، صورة طبق الأصل، لقاء"، تفاصيل تشير لنا، لماذا لم يحفل الصمادي بالتفاصيل في عنوان كتابه، وأكاد أقف على حقيقة واحدة، هي أن الصمادي أراد لنا أن نضيف من تفاصيلنا إلى الجرعتين اللتين أمضى حياته وهو ينزع إلى تأثيثهما بمصل الحياة، جرعة التصوير وما تلتقطه من مساحة ذات ظل وارف، وجرعة الأدب وهو يعود إلى السير عبر مجراها الأليف.